حَوران..

بقلم

إسلام الخضري

حَوران..

بطاقة الكتاب:
اسم الكتاب: حوران
اسم الكاتب: إسلام الخضري
نوع الكتاب: رواية
عدد الصفحات: ١٢٢صفحة
المقاس: ١٤ x ٢٠
رقم إيداع: ٢٠٢٠/٢٠٥٩٣م
الترقيم الدولي: 978-977-85792-6-0
الطبعة: الأولى، ٢٠٢٠م

رئيس مجلس الإدارة

مها المقداد

للتواصل والطلب من داخل أو خارج مصر:
00201129195867-00201033966291

الغلاف والتنسيق الداخلي والمراجعة

فريق دار المصرية السودانية الإماراتية للنشر والتوزيع

أقر المؤلف بأنه وحده صاحب الحقوق الفكرية للكتاب، وأنه يضمن للناشر عدم التعرض من الغير بخصوص الملكية الفكرية، كما صرح أن هذا الكتاب ليس في مضمونه ما يمنعه القانون، وأن الآراء والأفكار التي يتضمنها محتوى الكتاب تعبر عن فكر المؤلف فقط ولا يعبر عن رأى الناشر، ولا يوجد داخل الكتاب نقل أو استعارة بما قد يعرّض الناشر للمسؤولية القانونية.

حَوران..

Zoya...

بقلم

إسلام الخضري

فريق عمل دار المصرية السودانية الإماراتية للنشر والتوزيع

تصميم الغلاف **أحمد طارق (هكتور)**

التنسيق الداخلي **مها المقداد**

دار المصرية السودانية الإماراتية للنشر والتوزيع-مها المقداد

+201289024055

Mahaelmukdad@gmail.com

إهداء

أحيانًا يُهدينا القدر نورًا في نهاية النفق يُرشدنا إلىٰ الطريق القويم..
ولكن القدر قد رزقني بالعديد من المشاعل العملاقة التي برزت لي فجأة في نفقي المُظلم فكانت عوني وسندي في رحلتي..
إلىٰ كل مَن آمن بحُلمي وسعىٰ جاهدًا ليُضفي الابتسامة علىٰ وجنتاي..
إلىٰ الدرويشة **«نهىٰ زيادة»** التي كانت داعمًا في رحلتي.
إلىٰ إخوتي مَن ذكرتهم اسمًا في روايتي ومن لم أذكرهم «دُمتم طيبين».
و إلىٰ مَن كانوا عوني في لياليَّ الحالكة...
وإلىٰ مَن آمن بقدرتي الإبداعية «د/مصطفىٰ النجار»..
وإليك أنت أيضًا يا عزيزي قارئ روايتي المتواضعة "أتمنىٰ أن تنال إعجابك"..
إلىٰ من واراهم الثرىٰ؛ فليتغمدكم الله برحمته يا أعزاء فؤادي طِبتم وطاب مَرقدكم.. لقد اشتقت لكم كثيرًا..
□إلىٰ أن ألقاكم□..

حَوران

مقدمة

طريقك الذي توقفت في منتصفه لن تستطيع إكماله بدوني؛ فأنا كمال حكايتك وكمالك أنت....

المُقدمات الطويلة تأتِ لتحفيز عقل القارئ.

وهذا ما لا أريده..

هذه الرواية تحتاجُ منكَ إلىٰ استخدام عدم الفهم لتفهم؛ فإن فهمت فإنك لم تفهم..

تفحص وريقاتها بعناية يا صديقي؛ فإن فيها ماضيك وحاضرك ومستقبلك

...

"حَوران"

"زويا "Zoya

"الفصل الأول"

طرقاتٍ مُتلاحقة علىٰ باب غُرفتي فأذنت للطارق بالدخول.

فإذا به مُساعدي الدكتور أحمد الزيني.

يجول بنظراتِ شكٍ في أرجاء غُرفتي، وكأنني أُخفي عليه شيء أو اتستر علىٰ وجود أحد في غُرفتي.

بدأ يلتقط أنفاسه المُتلاحقة بعدما تيقن من خلو الغرفة من أحدٍ مد يديه التي كانتا تحملان شيئًا مُبهم بالنسبة لي ولم يقل أي شيء.

أعطاني قطعة قُماشية قد تلطخت أطرافها بالوحل والدماء علىٰ حدٍ سواء تلتف حول كتابٍ مُتهالك وكأن طائرة قد حطت عليه.

كُتب في بدايته «بلد المهاليك».

اتسعت حدقتا عيناي واضطرب فؤادي؛ فنظرت له بنظراتِ شكٍ فأومأ برأسه إيجابًا ثم انصرف.

بدأت أتحسس ملمسه الذي لم يتغير عن المرة الأخيرة أمسكته فيها، تذكرت تلك الليال التي قضيتها بين الرعب والضيق والفزع، وتذكرت تلك المُذكرات لقد كتبتها أنا بخط يدي.

بدأت أتفحص وريقاتها التالفة، وتسائلت أين وجدوها بعد كل تلك السنوات؟ أيعقل بأنها لم تتلف مثلما تلفت ذاكرتي مع مرور السنين؟!

أأنا أحلم أم أنها بين يدي بالفعل؟

لا يهم الآن، كل ذلك الحديث عديم الجدوىٰ الآن، تفحصتها وبصوتٍ جهوري بدأت أقرأ أجزاءًا مُتفرقة مما كُتب فيها..

بدأنا نتدريب مدة شهر في مركز البحوث بالقاهرة من أجل السفر إلىٰ القطب الشمالي لاستكشاف ما حدث لإحدىٰ البعثات الاستكشافية لفيروس نادر بدأ نشاطه هناك وفور بدأهم استكشافه انقطعت الأخبار فاضطر مركز البحوث بالقاهرة بإرسالنا نحن البعثة الجديدة المكونة من ١٢ فرد مُدربين علىٰ مواجهة الأزمات ولكن هُناك اكتشفنا بأن البعثة الأصلية قد قرروا استغلال القوة التدميرية للفيروس بإنشاء «مُفاعل جرثومي» وهو أشد قوة من المُفاعل النووي والمُفاعل العنقودي ولكنهم لم يدرسوا كل التفاصيل المُمكنة حول ذلك الفيروس فانصهر المُفاعل واندمج العلماء الموجودون في تلك الغرفة مع مجموعة من حيوانات التجارب والاستكشاف وذلك الفيروس فتحولوا إلىٰ كائن مُكون من كل تلك الأشياء وأسميناهم «مسوخًا».

أثناء اكتشافنا لكل ذلك وجدنا بأن هؤلاء المسوخ قد بدأوا بمعركة ضارية ضدنا كانت معركة تحمل بين طياتها الألم والخوف والكثير من الخسائر.

أستطعنا بمساعدة الناجيين من العلماء القضاء علىٰ المسوخ إلىٰ أن وصلنا إلىٰ قائدهم وزوجته (وهي الدكتورة إيثار التي تواجدت وقت انفجار المُفاعل وكانت تحمل بين جنباتها طفلًا لم يولد بعد) التي وضعت مولودها ذلك المسخ الوحشي فاتقاتلنا معهم إلىٰ أن قتلناهم جميعًا وأسرنا الصغير في حاجز زجاجي من أجل دراسته وتحليل علك الفيروس من خلال خواصه المعيشية وهممنا بترك منطقة القطب الشمالي أو كما أسميناها (بلد المهاليك)، وفور انطلاق الطائرة لعودتنا إلىٰ مصر بدأ الصغير بالانتفاخ كالبالون

...

أمسكت بالمذكرات وفتحت ورقتها الأخيرة؛ فوجدت بعض المُلاحظات قد دونتها بنفسي..

بعد انتهاء الحرب العالمية الثالثة بعدة سنوات بالتحديد في الفترة ما بين «٢٠٩٨ و٢١٠٠»..

تربعت مصر علىٰ قمة هرم التقدم العلمي والتكنولوچي بالطبع تكبدنا العديد من الحُطام ولكن سُرعان ما تدارك عُلمائنا ذلك وبدأنا نهضة شاملة بفِكر أبنائنا..

انتابتني القشعريرة لتذكري تِلكَ الأيام، ونظرتُ إلىٰ قهوتي وقُلتُ مُخاطبًا إياها.

"يقولون بأنكِ سبيل الهدوء والاسترخاء، ولكنني لم أجد منكِ إلا مرارة تلك الأيام، لم أجد منكِ إلا سوادك يا عزيزتي".

ارتشفت القهوة وبدأت أقرأ من جديد..

..القُطب الشمالي قبل انطلاق الطائرة..

تذكر عامر تلك الورقة التي قُطعت عمدًا من مُذكرات دكتور إبراهيم فؤاد؛ فأخبرهم بأنه عائد إلىٰ موضع المُذكرات مرة أخرىٰ ليحُضر الرسم المُخطط للمفاعل الجرثومي، حاول مروان إقناعه بالذهاب معه إلا أنه أبىٰ ذلك وأخبره أن ينتظر وصول الطائرة إلىٰ أن يعود.

وهمس في أذنه «لا تقلق يا صديقي فالموت واحد وقد مررنا به للتو، سأعود إليك لا تقلق» وابتسم ابتسامة هادئة؛ وقال:

وإن قُتلت أو متُ ميتتي الطبيعية سوف يبقىٰ شبحي يُحلق فوقك دائمًا..

نظر له مروان بحدة..

فارد عامر: أمزح معكَ يا صديقي، لن أتأخر عليك.

وابتعد عنهم مُسرعً إلىٰ منطقة المعمل مرةأخرىٰ

فور وصول عامر إلىٰ منطقة المعمل وجد إسطوانة الأكسچين التي يرتديها قد شارفت علىٰ الانتهاء فأوقف عملها ونزع الأنبوب عن أنفه وتجرع أولىٰ أنفاسه من طبيعة ذلك المكان.

الهواء بالفعل قد أصبح أخف عن ذي قبل.

يبدو أن تأثير انفجار المُفاعل قد بدأ بالتلاشي شيئًا فشيئًا؛ فالموضوع كان مُستحيل فور وصولنا إلىٰ هنا..

قالها عامر مُخاطبًا نفسه:

امتلأت رئتاه بالهواء ودخل إلىٰ المعمل..

دار بعينيه من جديد في مكان الانفجار؛ لعله يجد شيء قد غاب عنه في المرة الأولىٰ وبحث من جديد في الأدراج ولكن دون جدوىٰ، فقام بأخذ ورقة المُخطط وهَمَ بالرحيل إلىٰ أن استوقفه ذلك الصوت الغريب الذي صدر خلفه

إنه نفس الصوت كما المرة السابقة «صوت احتكاك معدني»

تباطئ الزمن من حوله وارتعش جسده أيعقل بأن أحد المسوخ مازال علىٰ قيد الحياة؟ هل سوف أموت هنا؟، كنتُ أمزح يا مروان، بدأ بالاستدارة للخلف ببطئ حتىٰ أصبح وجهه في اتجاه ذلك الصوت.

وجده صندوق من المعدن قد سقط من مكان مُرتفع وكأن القدر شاء أن يراه قبل رحيله أو أنها لعنة المهاليك الذين كانوا يقطنون ذلك المكان.

توجه إلىٰ ذلك الصندوق وحمله ودار بعينه متفحصًا إياه فوجد نقشًا صغيرًا محفورًا عليه.

بحث في أرجاء المعمل عن نظارة معظمة.

ولكن محاولاته بائت بالفشل إلىٰ أن سقطت عينه علىٰ عدسة مُحدبة؛ فقربها من النقش فوجده خَتم قديم كُتب فيه "مركز البحوث... القاهرة".

بدت علىٰ وجهه علامات من الريبة والغرابة ممزوجة بالقلق مما يحمله ذلك الصندوق بين جنباته المُغلقه بإحكام

فكر قليلا أيحمله ويخرج؟

أم يُحطمه ويرىٰ ما بداخله؟!

بدت له الفكرة الثانية أكثر عقلانية فربما لا يحتوي علىٰ شيء مهم وسيتكلف عناء حمله إلىٰ الطائرة فقط.

ولكن كيف يمكن تحطيمه؟ لحظات من التفكير التي انتهت بتذكرهلتلك المطرقه التي رآها وهو يهرب من المسوخ المتحولة

فهرول مُسرعًا إلىٰ خارج الغرفة وعيناه تدور بين محاجرها إلىٰ أن وجدها بالخارج كما كانت في نفس موضعها

حملها وهبط علىٰ الصندوق بكل ما تحمله يداه من قوة فلم يتأثر حاول مرة واثنتين وثلاثة ولكن مُحاولاته جميعًا بائت بالفشل

فقرر أخيرًا بعدما يأس من تحطيمه حمل الصندوق إلىٰ الطائرة، ولكنه سرعان ما لعن غبائه فقد تذكر أين يمكنه إيجاد ذلك المُفتاح.

أيعقل بأنه مُخبأ في معمل دكتور إبراهيم؟.

..**مروان..**

ظل الهدوء يَعُم المكان بعد كل ذلك الضجيج الذي عِشناه، ولكن نبضات قلبي كادت أن تثقب قفصي الصدري منذ غادر عامر بحجه ذهابه إلىٰ مكان مُخطط المُفاعل.

حاولت جاهدًا أن أكون برفقته إلا أنه أبىٰ ذلك وأمرني أن أنتظر الطائرة التي سوف تُعيدنا إلىٰ موطننا مرة أخرىٰ

ظلت مزحته الأخيرة مُعلقةً في ذهني ويتعالىٰ معها نبضاتُ قلبي..

كنت أنتظر الطائرة وضجيج عقلي مُستمر وكأنه ناقوس يُقرع داخل رأسي

أيمكن أننا أغفلنا أحد المُتحولين ولم نقتله؟

أيمكن أن يُصيب عامر مكروه؟

طرقت صدري بيدي لعل قلبي يهدأ من خفقانه وأمسكتُ رأسي من شده ألمه

اقتربت الدكتورة مروىٰ مني وابتسامة وجهها تظهر جليًا

وقالت لي:

الآن لدينا ذلكَ الصغير

اكتشاف علمي عظيم سيفيد العلم وسينسب إلينا، سوف نتقلد بالأوسمة والنياشين وسيكون لنا اسما نفخر به بين أقراننا

رمقتها بنظرة ساخطة...

أيعقل أن هذا حقًا ما تفكر به؟

أكل ما تريده فقط الشهرة حتىٰ بعد مقتل والدها أمام عينيها؟

ألم تحزن عليه؟

ألا تخشىٰ علىٰ عامر من ذلكَ المجهول الذي ذهب إليه؟

حاولت أن أتمالك نفسي وهززت رأسي لها إيجابًا.

وقد لعنتها سرًا علىٰ ذلك البرود الذي تُظهره.

وعن تلك الابتسامه التي تعلوا وجهها.

بعد وقتٍ قصير أعلنت بذلاتنا عن نفاذ الأكسچين منها.

فا قمناجميعًا بتغيير إسطوانة الأكسچين وقررنا ترك الأقنعة علىٰ وجوهنا الىٰ أن نصل إلىٰ مصر حتىٰ نخضع للكشف الطبي جميعًا.

أنتظرنا وأنتظرنا حتىٰ كادتأعيني تخرج من محجرها.

فجأة لمحت الطائرة التي سوف تُقلنا أخيرًا قد لاحت في الأفق.

ولكن عامر لم يصل بعد، أين أنت يا صديقي؟ يكاد رأسي ينفجر.

قررت البحث عنه حتىٰ لو عنىٰ ذلك مقتلي، إنه كُل ما أملكُ في الحياة، وما أن هممتُ بمغادرة المكان حتىٰ سمعتُ صوتًا يُنادي باسمي من فوهة البُركان الخامل...

نظرت باتجاه الصوت فوجدته عامر، أخيرًا قد عُدت..

إرتاحت نفسي وهدأ ضجيج عقلي بعد أن كُنت قد بدأت أفقد صوابي.

اقترب مني وأخبرني بأنه يحتاج إلىٰ إعادة شحن الأكسچين في بذلته لأنه انتهىٰ.

فأرشدته إلىٰ مكان تغييرها بالطائرة المحطمة وبالفعل قام بذلك...

وما أن هممنا بالصعود إلىٰ الطائرة حتىٰ فاجأنا عامر بطلب يد الدكتورة مروىٰ.

تعجبنا جميعا من ذلك الطلب وتعجبنا أكثر من سرعة استجابة مروىٰ بالموافقة علىٰ ذلك الطلب.

ولكن كيف ألم تقل أن همها الأول والأخير هو ذلك الاكتشاف العلمي؟

ألم تقل بأنه الشهرة لا محالة؟

أأنا أتخيل أم أنها وضيعة تحاول كسب كل شيء دفعة واحدة؟؟

قضمت لساني حتىٰ لا أتحدث بكل ما يدور بداخلي وبدأت ضحكاتي المُعتادة تتعالىٰ حتىٰ كادت تصل عِنان السماء.

وهنأتهم علىٰ تلك الخطوة المفاجآة.

بالطبع لاحظ عامر أمر كتماني لشيء ما، رمقني بنظرة أعرفها جيدًا.

فقفزتُ فرحًا في الهواء كطفل صغير وسألتُ مروىٰ إن كان لها أختًا أو قريبة في أخلاقها لأتزوجها

فأجابتني بابتسامة بأنها الوحيدة، وقالت بسخرية لن تجد مثلي!

فاضحكنا جميعًا وأنا أستشيط غضبًا في قرارة نفسي من ذلك البرود الذي يُغلفها.

بالطبع لا أريد الزواج ولكنها الطريقة الوحيدة لأخفي ما بي من شكوك عن عامر الذي ما يزال يرمقني بنظراتِ الشك بين الحين والآخر..

..عامر..

نزعتُ قناع الأكسچين الخاص بي بعد انتهاء الأكسچين من إسطوانتي وفور تجرعي أولىٰ أنفاسي من الهواء شعرتُ باضطرابات في التنفس وأكاد أقسم بأن عضلات جسدي تمددت ولكني لم أعبأ لها فقد كذبت نفسي وأقنعتها بأن ذلك محض إرهاق ليس إلا..

توغلتُ في موضع المُفاعل وبحثتُ عن أي شيء له علاقة بتجارب العلماء ولكن محاولاتي جميعًا بائت بالفشل.

هممت بالخروج من المعمل ولكن القدر كان له رأي آخر

فجأة بدون مُقدمات سقط صندوق معدني أرضًا منقوش بختم لم أتبينه لصغر حجمه ولكن في النهاية استطعت قراءة ما دون عليه.

مركز البحوث بالقاهرة.. تعجبت من وجوده هنا

وحاولت جاهدًا تحطيمه ولكن دون نتيجة تُذكر

حتىٰ المطرقة لم تستطع تحطيمه لابد من مفتاح لهذا الصندوق..

فتحت باب النفق السري المؤدي إلىٰ معمل الدكتور إبراهيم وذهبتُ إلىٰ هناك ويراودني شعور سيء عما يوجد داخل الصندوق

دلفتُ إلىٰ المعمل الذي كان بابه مفتوحًا بعدما فتحه دكتور إبراهيم نفسه في المرة الأخيرة له قبل أن يُقتل

فجأة زاد ألم صدري وسقطتُ علىٰ رُكبتاي وبدأت أتقيأ

لحظاتٍ شعرتُ فيها بأنني من شدة قيئي سألفظ أعضائي الداخلية خارجي..

ولكن الأمر قد انتهىٰ بعد دقائق، يبدو أنني قد أُصيبتُ بالحمىٰ

ولكن لحسن الحظ أننا عائدون أخيرًا إلىٰ مصر

تشبثتُ بالجدار في مُحاولة ناجحة مني للوقوف وأكملتُ طريقي إلىٰ المعمل..

بحثتُ في الأدراج عن ذلك المفُتاح حتىٰ وجدته أخيرًا

مُفتاح ليزي هرمي الشكل منقوش هو الآخر بنقش مركز البحوث بالقاهرة..

لم أستطع منع فضولي من فتح الصندوق، فوجدت فيه ورقتين

تفحصت الأولىٰ؛ فإذا بها مُخطط للمفاعل النووي

يبدو أن الإنسان سوف يظل أبد الدهر المُخرب والعابث الأول

وسوف تظل نزعته الأنانية تتحكم به دائمًا..

يبدو أن البعثة الأولىٰ كانت تنوي الاستقلال بالقطب الشمالي منذ لحظة وطأت أقدامهم هنا

وكانت تلك الجرثومة اختبار الله لهم..

وقد فشلوا في الاختبار فأحُكم عليهم بالفناء جميعًا.

وتحول القطب الشمالي من الأبيض الذي يبعث علىٰ السكينة إلىٰ بلد المهاليك، مكان قاتم ينبعث الموتُ من أرجائه..

تفحصتُ الورقة الثانية فوجدتها مكتوبة بخط اليد

ابتسمت لا إراديًا مني وقلت:

يبدو أن مع كل التطور العلمي الذي وصلنا إليه فأصبحنا علىٰ قمة هرم التطور العلمي والتكنولوچي إلا أننا ما زلنا نُدَون كل شيء بخط اليد..

يبدو أن الورق لن يندثر مهما حدث ومهما كان موجود من حواسيب ولوحات مُبرمجة لتسهل الكتابة، سيظل التدوين الورقي هو الأساس..

نظرتُإلىٰ الورقة فوجدت في أولها كلمة "**بحثيات**".

أعتقد أنها جملة سخيفة جدًا ولكن يجب أن أتفحص تلك الورقة سريعًا..

قبل ما يقرب من الخمسون عامًا اجتاح العالم ذلك الفيروس اللعين الذي أصاب العالم بالذعر والفزع فحول البشر إلىٰ آلات تخشىٰ الهلاك والموت

تحول الناس إلىٰ زومبي يتحاشون السلام والكلام

أصبح شبح الموت يَلوح في الأفق، صنفته وزارات الصحة العالمية بأنه فيروس متطور "مُصنع" وأسموه

“coronavirus”

أو **فيروس كورونا "كوفيد ١٩"**

وبعد عدة سنوات من الرعب والفزع، استطاعوا أخيرًا الوصول إلىٰ المصل المضاد له، وذلك بعد هلاك ما يقرب من **١٠%** من سُكان الكوكب..

واختفىٰ ذلك الفيروس اللعين بعد ذلك الحصاد الهائل من الأرواح

....

بعد ما يقرب من ال ١٠ سنوات ظهر من جديد، ولكن بشكل متطور أكثر وبحجم جرثومي أقل ضاءلة من سابقه ولكن هذه المرة كان المصل المضاد متوفر وان ظل فترة حتىٰ قام بمفعوله.

ولكن بالتأكيد قد حصد الفيروس حصاده من الأرواح؛ فقد حصد ما يقرب من ال **٢.٥%** من سُكان الكوكب.. واختفىٰ مرة أخرىٰ ولم يظهر من جديد

.....

ولكن في عامنا هذا ٢٠٦٩م؛ ظهر فيروس آخر أشد فتكًا ولم يستطع العلماء رصده أو التعرف علىٰ خصائصه فقد ظهر وقضىٰ علىٰ عشيرة كاملة واختفىٰ بزوالهم.

يوم واحد فقط استطاع فيه حصد ما يقرب من ال **٥٠٠٠** شخص دفعة واحدة ولم يستطع العلماء التوصل إلىٰ أي شيء يثبت صحة وجوده..

.....

اتسعت حدقتا عيني من الدهشة؛ أيعقل بأن ذلك الڤيروس الجديد هو نفسه الذي ظهر أثناء الحرب العالمية الثالثة؟

لم يُمهلني القدر كثيرًا حتى رد علىٰ سؤالي مرة أخرىٰ. يوجد ورقة ثانية بجوار المفُتاح بذلك الدرج كتب فيها:

أثناء الحرب العالمية الثالثة...

اجتاح منطقة بالقرب من سوريا ڤيروس قضىٰ علىٰ مدينة كاملة ولكن الجميع كان مُنشغل بالحرب؛ فاضطر المركز أن يُرسل بعثة سرية مكونة من خمسة أفراد لبحث أمر ذلك الڤيروس.

إلا أن ثلاثة منا قد أُصيبوا بأعراض غريبة وازدادوا ضخامة وكأنه مرض العملقة، برزت عروقهم وتضخمت أطرافهم..حاولت أنا ودكتور خالد مساعدتهم ولكن لم نقدر علىٰ فعل أي شيء فكان رأي دكتور خالد أن نُبيدهم قبل أن يُبيدونا عارضته في تلك الفكرة ولكنه استطاع إقناعي بحنكته المعروفة ورجاحة عقله وبالفعل نفذنا ذلك القرار وأطلقنا وابلًا من النيران عليهم..

كانت سرعتهم كبيرة جدًا في تفادي الطلقات؛ إلا أن دكتور خالد كان ماهرًا جدًا في التصويب فإصاب إثنين منهم في رأسهم فاسقطوا من فورهم صرعىٰ، وتمكن الثالث من تحطيم قناع الأكسجين الخاص بدكتور خالد فاشطره إلىٰ نصفين؛ إلا أنني قد أصبتُ ساق ذلك الكائن فأطلق عليه دكتور خالد رصاصة استقرت في منتصف رأسه فأردته صريعًا.

كان الدكتور خالد بارعًا جدًا بحق؛ حتىٰ أنه استطاع حبس أنفاسه مدة طويلة حتىٰ غادرنا المدينة وقررتُ وقتها أن أختفي وأسافر بعيدًا عن وطني تاركًا زوجتي وابنتي مروىٰ خلفي.

كانت أنانية مني ولكن ما كان باليد حيلة إنها الحرب...

سَمعتُ بعد فترة من الزمن أن دكتور خالد قد أصبح رئيس مركز البحوث وأن مروىٰ أصبحت مساعدته وذراعه الأيمن...

فور انتهائي من قرائة تلك الورقة سمعت صوت الطائرة فاتذكرت الباب الآخر الذي يوصلني إلىٰ فوهة البُركان؛ فخرجت منه مسرعًا فوجدت مروان يبتعد ويتجه ناحية المعمل.. فخمنتُ بأنه ذاهب للبحث عني فناديت عليه ولكن ملامح وجهه لم تكن مُطمئنة يبدو أنه يُخفي سرًا ما...

"الفصل الثاني"

..عامر..

تقدمتُ لخطبة مروىٰ فأرمقني مروان بنظرة لم أعهدها..

لم أستطع أن أعرف أكانت نظرة فرحة لي أم خوف أم حزن أم شيء آخر لم أستطع تبين ما ترمي إليه تلك النظرات...

ولكن تلك النظرة لم تدم طويلًا فسرعان ما عاد مروان الذي أعرفه، بعدما وافقت مروىٰ علىٰ طلبي للزواج وقال لها مازحًا إن كان لها أخًا فهو يريد الزواج فإجابته بأنها الأخيرة من نوعها وضحكت.

بالطبع ضحكنا جميعًا إلا أن الشك لم يَزُل عني.

دَلفنا إلىٰ الطائرة ومازال الطفل كما هو في الحاجز الزجاجي جلستُ مع مروىٰ ومروان بدأ يوجه نكاته وضحكاته المُعتادة التي تُضحِكنا دائمًا...

وبدأت أتأمل وجه مروىٰ وكأنها المرة الأولىٰ التي أراه فيها.

إنها الآن ليست الدكتورة مروىٰ القوية الغليظة فهي الآن أقرب ما يُقال عنها أنها إحدىٰ الورود الناعمة الرقيقة الآن فقط أصبحت وتيني وما أقربُ من الوتين إلىٰ القلب..

تأملتها وغلبني الحُب فيها وكأنني أذوب داخل ملامحها الدافئة وبدأت أتذكر تلك المرات التي ساعدتني فيهاوعدد المرات التي لَمَحتُ لها بحُبي..

ولكنها كانت سُرعان ما تُغير مجرىٰ الحديث، حتىٰ ظننت بأنها تكرهني، ولكنها الآن أمامي، لكنها الآن مُحبتي ومحبوبتي..

نظرتُ لها بنظرةِ مُحبٍ فأشاحت بوجهها بعيدًا من شدة الخجل...

أمسكتُ يديها الناعمتين الرقيقتين وقربتُ وجهي منها وتغزلتُ فيها تحول لون وجنتيها إلي اللون الوردي من شدة الخجل ولم تنطق بكلمةٍ واحدة حتىٰ وبعد لحظاتٍ من الصمت؛ فقلت مباغتًا لذلك الصمت:

فاكرة الكلام اللي إتكتب لما إنكتب تبقيلي أُمي والسند والمُستند اللي بيجمع كل إحساس إتولد .
كان أول المِشوار في عينكِ لما عينكِ قالت إني مش طبيعي كإني جِني أو دماغي رايحة مني لما جيت وأنا كُنت أغني
كنت فاكر إني اقول "أطلبي يا حبيبتي وإتمني"
أنا جيتلك وحايلتك جدًا وعنيكي قالولي إنك مِني
والقلب ساعتها بدون تفكير .. سَلملك في الهوا مُفتاحه .
وساعتها أنا قولت كلام أكتر ..من ضمن اللي إتقال يا حبيبتي . غمضي ياعيونها وإرتاحوا..

(بقلم: أحمد عبدالعزيز)..

..

سألتني بنوع من الدلال..
_هل تحبني؟

فأجبتها.. بالطبع!

عندها قالت... إلىٰ أي مدىٰ؟!

ابتسمتُ ابتسامة هادئة وبدأتُ بهندمة ثيابي وقُلت لها باسمًا:

إلىٰ أن تنطفئ الشمس ويخمد لهيبها.

إلىٰ أن يتلاشىٰ الوجود وتختفي الحياة.

إلىٰ أن تذبل الزهور وتفنىٰ الموجودات.

إلىٰ أن أشيب وتتساقط أسناني الواحدة تلي الأخرىٰ.

وإلىٰ أن أموت يا مروىٰ وينقطع عملي.

ربما وقتها يقل حبي لكِ، ربما!..

رأيت ابتسامة تعلوا وجهها وكأنها قَمرٌ مُنير.

وكأنها زهرة استكملت نضارتها وبهائها كأنها زهرة تشرين..

رأيتُ الملائكة في عينيها تتراقص طربًا متناغمة مع دقات قلبها..

وحينها قفز مروان من كُرسيه إلينا، وقال وقد اتسعت حدقتا عينيه وتحول وجهه كاملًا إلىٰ الضحك.

ما هذه الرومانسية؟...مُنذ متىٰ وأنت تحفظ الشِعر ومنذ متىٰ هذا الحب كله؟...لن أحسدكم ولكني سأنظر إليكم بعيون حاقدة هههه!

ضَحِكنا جميعًا بعد تلك المداعبة اللطيفة من مروان....

وفجأة وجدنا ما لم يكن بالحُسبان ذلك الصغير الذي قد وضعته في أحد أركان الطائرة بعدما كُنت أحمله قد بدأ من جديد بالانتفاخ كالبالون.....

..مروان..

صعدنا جميعًا إلىٰ الطائرة وبدأتُ أشغل نفسي عن تلك العلاقة المُدنسة بالخطايا التي أتمها عامر بخطبته لمروىٰ.

تلك الفتاة التي تسعىٰ لكسب الشهرة الواسعة علىٰحسابنا نحن وفي النهاية وافقت بكل سهولة علىٰ عرض زواجها من عامر...

تلك الفتاة التي لم تكترث بمقتل والدها أمام عينيها، التي سافرت إلىٰ القطب الشمالي فقط لتوثيق اللحظة وكسب الشهرة الواسعة، تلك الشمطاء التي تتلاعب بصديقي وكأنه دُمية صُنعت خصيصًا لتدعسها تحت قدميها النجستين..

أحاول كبح جِماح غضبي كي لا يشعر عامر بشيء

ولكن بالفعل يُخبرني وجهه بأنه يعلم أنني أُخفي بجعبتي الكثير من الأسرار والمخاوف

نظرته لي تكاد تقسم فؤادي إلىٰ شطرين لتتفحص ما بداخله من خفايا وما يُكِنه من أسرار..

أعلم كل العلم عن نظراته وأحفظها عن ظهر قلب..

بدأتُ بتوزيع المهام داخل الطائرة وجعلت صندوق ذلك الصغير أمام عيني بعدما تركه عامر في أحد أركان الطائرة خشية أن يسقط فايتحرر الصغير أو يُدهس ونحن لا نلحظه..

بدأ عامر في شروده وهو يتأمل أعين مروىٰ الىٰ أن استفاق من شروده وقرر منحنا تلك القصيدة الرائعة من الغزل الذي كِدتُ أن أتقيأ من فرطه فتلك الوضيعة لا تستحق كلماته.

لقد رأيتُ فيها مروىٰ تذوبُ عِشقًا.. أيعقل بأنها تُحبه بالفعل؟ أم أنها بارعة إلىٰ ذلك الحد في التمثيل؟

قفزتُ من مقعدي وبدأتُ ألقي النكات لإلهاء عامر عن شكوكه التي تجلت لي إلىٰ الحد الذي لاحظه الجميع، ولكن تلك الشكوك وإن لم تزُل كليًا إلا أنها أصبحت أكثر مرونة بعدما حملت من الحدة الكثير..

عندما عُدت إلى مقعدي من جديد، هيأ إلي أن الصغير قد زاد حجمه

راقبته فوجدت الحجم يزداد بالفعل، تحركتُ مُسرعًا إلىٰ قفصه الزجاجي

فرأيت شعره ينسدل إلىٰ خصره وعيونه أصبحت جاحظة وأطرافه تسارعت بالنمو..

للحظة صرخت "الصغير بدأ بالانتفاخ من جديد"

ولكني فهمت الأمر، إنه لا ينتفخ كما يفعل البالون، إنه يَكْبُر وعضلاته تزداد ضخمة.

حتىٰ تَحطم القفص في لحظاتٍ ووقف أمامنا بهيئته البشعة التي تُشبه الشياطين في الأفلام المصرية القديمة.

إنه المزيج ذاته الذي كان عليه المُتحولون في القطب الشمالي ولكن بالفعل هو يختلف عنهم في الحجم وبروز العضلات وبالطبع السرعة في التطور لو كان بشريًا لكان الآن في العشرين من عمره؛ لكنه أبشع من ذلك بكثير.

حاولت السيطرة علىٰ الأمر؛ ولكنه صرخ صرخة مُدوية تُصَمُ لها الآذان....

"حَوران"

انطلقت صرخة تُصَمُ لها الآذان

وضع الجميع أيديهم علىٰ آذانهم بعد أن سالت الدِماءُ مِنها، وبدأوا يترحنحون من أثر ذلك..

"أصيب عصب الأذن الوسطىٰ المسئول عن الاتزان في الجسم بصدمة يصفها الأطباء بصدمة مؤقتة تعمل علىٰ فقدان السيطرة علىٰ التوازن".

سقطت مروىٰ مغشيًا عليها وتبعها بعد وقتٍ قصير مُساعد قائد الطائرة الذي ظهر هو والقائد فجآةفي مقسورة الركاب وهو يستغيث، لقد فقدتُ السيطرة علىٰ الطائرة، وأجهزة الملاحة قد دُمرت، سوف تهوي الطائرة في هذه المنطقة، ويجب عليكم القفز بالمظلات تجنبًا لتحطم الطائرة.

تلبدت السماء بالغيوم ولكنها ليست غيومنا التي اعتدنا عليها فالغيوم في تلك البقعة سوداء اللون داكنة، وكأن الشر الكامن في الأرض قد كَشر عن أنيابه وبرز في سماء تلك المنطقة عن طريق مناخها وطبيعة سحابها..

وكأنها منطقة الثقب الأسود ولكن ليس في فضاء العالم ولكنها هنا الآن في هذهالمنطقة المجهولة التي اضطرت الطائرة الهبوط بها..

تفقد مروان مقسورة قائد الطائرة، وراجع الخرائط فوجد أن هذه المنطقة تُسمي حَوران، وهي المنطقة الشمالية من الأردن والجنوبية من سوريا.

وهي منطقة سهلية شاسعة تدمرت إثر وقوع بعض المناوشات فيها فتحولت من خضراء تنبض بالحياة إلىٰ مجموعة من الثقوب الأرضية أثناء الحرب العالمية الثالثة.

مَنطقة مُهلكة قادهم القدر رغمًا عن أنوفهم إليها، وكأن أيامهم التي عاشوها في القطب الشمالي لم تكن تكفيهم وكأن الرعب الذي دب في قلوبهم بعد سماع دوي صرخه ذلك الصغير لم تكن تكفيهم....

ظَهرت جليًا شدةُ الانصدام علىٰ وجه مروان؛ أحقًا هذه الأرض المُكفرة هي حَوران؟

تلك المنطقة التي تتغنى بها الطيور فَرحة والتي كان يتهافت عليها القوم من كل حدبٍ وصوب لشدة جمالها ونضارة أرضها وجمال خُضرتها

فقد تميزت تلك البُقعة عن غيرها بالورود العطرة التي يفوح عِطر ريحها في الأرجاء كما وصفها زائروها وكما أرخها المؤرخون.

أتكون نهايتها ذلك الخراب؟!

حقًا إن الحروب لا تحمل بين طياتها سوىٰ الدمار والهلاك.

الجنس البشري سيهلك عن بكرة أبيه بأفعاله وأنانيته المُفرطة، سينصاع رغمًا عنه إلىٰ قوىٰ الطبيعة، ستهلكه الزلازل والبراكين، لن يجد مُتنفسًا سوىٰ الموت الذي لطالما بحث عنه.....

مركز البحوث "القاهرة"

غرفة دكتور خالد بصوت يعلو تدريجيًا مُخاطبًا أحدهم بالداخل..

لقد تفاقم الوضع كثيرًا وأُبيد الكثير من البشر بفضل أنانيتك، أنت السبب الوحيد لما حدث في منطقة القطب الشمالي بالرغم من أداء ذلك الفريق المحدود الذي أرسلته كفئران تجارب وذلكَ الإنجاز العظيم الذي حققوه إلا أنهم سيلاقون حتفهم في النهاية لا شك في ذلك.

أنت المُغفل الوحيد هنا..

أرسلتهم إلىٰ الجحيم ولم تُمدهم بكل المعلومات التي بجعبتك..

كان رهانك خاسرًا منذ اللحظة الأولىٰ يا دكتور.

لمَ لمْ تُخبرهم بقدرات تلكَ الڤيروسات والتي قد اختبرتَ قوة تدميرها بنفسك

أنسيت مُعاناتك المُستمرة إلىٰ الآن، ولولا تلك المُهدئات لما هدأ هياجك ولو للحظةٍ واحدة.

حتىٰ مروىٰ تركتها تذهب إليهم بكل بساطة لتلقىٰ نفس مصيركَ الذي لاقيته أنت أثناء بعثتكَ السرية وقت الحرب العالمية..

المُجرم الحقيقي في هذه الظروف ليست الڤيروسات وإنما أنت نفسك يا خالد

أنت سبب هلاكهم أنت سبب كل شيء حدث وسيحدث..

أنت من حنثت بالقسم يا خالد، أنت من حنثت بالعهد القديم..

أم أنك نسيته الآن بعد كل تلك السنين؟

أما كان الأولىٰ أن تَمِدهم بعشراتِ الجنود!؟ أما كان الأولىٰ أن تذهب بنفسك كالمرة الأولىٰ!؟

الشفيع الوحيد لكَ في بعثتك الأولىٰ هو ذلكَ الناج الوحيد من تلك الڤيروسات والذي أنقذته...

ذلك الطفل الذي وجدته وأنت تُهرول خائفًا بعد سقوط قناع الأكسچين عنك وقتها

ولكن ماذا ستفعل الآن أيها الأحمق المُتهور؟

هل ستترك مصائرهم يُحددها القدر وأنت تتابع عن طريق تكنولوچيتك الواهنة؟

أم ستأخذ المنحنىٰ الأصعب وتذهب إليهم بنفسك؟

فلا وقت لحشد الجنود! إن قررت القرار الثاني فسوف تكون بمفردك...

فجأة توقف الصوت عن الحديث..

وابتعد ذلكَ الشخص الذي كان يسترق السمع في الخفاء خلف الباب الموصد من الداخل بإحكام...

خرج دكتور خالد وأغلق الباب من خلفه.

وذهب إلىٰ فؤاد ليُخبره أنه ذاهب إلىٰ منطقة حَوران بعدما آلت الأمور إلىٰ ذلك الحد الخطير.

حاول فؤاد أن يُقنعة بالذهاب معه، ولكن دكتور خالد أخبره بأنه ذاهب ليلقىٰ حتفه وقال:

إنها النهاية يا صديقي، إنه الموت لا محالة.

رحلتي العلمية الطويلة قد سطرت آخر سطورها هنا..

الآن أنا ذاهب إلىٰ مصيري المجهول.

وأنت ستكون خليفتي إلىٰ أن يُعين أحد غيري علىٰ مقعدي.

اذهب يا فؤاد وجهز طائرتي الخاصة التي ستأخذني إلىٰ مصيري المجهول

إنها رحلة الذهاب بلا عودة يا رفيقي..

إنها النهاية التي أقنعتُ نفسي بأنها لن تأتِ أبدًا..

قالها دكتور خالد وهو يربط علىٰ كتف فؤاد وذهب إلىٰ غرفته مرة أخرىٰ

وانطلق فؤاد لتنفيذ مهمته...

"الفصل الثالث"

..مروان..

بعد الخطر الآثم الذي شعرتُ بوقوعه علينا بعد مُراجعتي للخرائط شعرنا بالطائرة بالفعل تترنح في الهواء مُعلنة عن سقوطها حاولتُ الوصول مُسرعًا إلىٰ مكان الطفل؛ ففوجئت به قد حطم بالفعل الحاجز الزجاجي وخرج منه وقد برز جناحيه كأبيه ولكنه الآن في حجم الشاب البالغ...

كيف يتطور مخلوق إلىٰ هذه الدرجة بتلك السرعة؟!

حاولتُ الإمساكَ به إلا أنه بدأ يتوهج فجأة وكأنه مِصباح كهربي، ازداد توهجه شيئًا فشيء.

أكادُ أُقسم بأنه ساينفجر من شدة توهجه، أو أنه سيخطف أبصارنا جميعًا.

وفجآة بدأ يرتفع في الهواء؛ الأمر يتنافىٰ مع العقل إنه لا يستخدم جناحيه. إن جسده يتعارض مع الجاذبية الأرضية حتىٰ وإن كُنا نهوي بالطائرة إلا أنها ثابتة بفضل تطورها نحن بداخلها نشعر فقط باهتزازات طفيفة.

بالطبع لم ننزع أجهزة الأكسچين منذ كُنا في منطقة القُطب الشمالي ولكني أُقسم بأنني أشعر بانحسار منسوب الأكسچين عن رئتي ووصول القليل منه فقط وكذلك لاحظت بأن الجميع مثلي يشعر باختناق حتىٰ أن أحد العلماء معنا بدأ يسعل ويُمسك برقبته بقوة وكأن ذلك المنسوب القليل من الأكسچين لم يعد يصل إليه..

كُنا سنزيل الأقنعة إلا أن عامر قد صَرخ فينا أن نُبقيها كي لا نتأثر بما يحدث من تطور الطفل...

تحول لون الطفل إلىٰ الأرجواني وكأنه يَختنق من جو الطائرة وبدأ هو الآخر يُمسك برقبته ويتلوى في الهواء، وفجآة برزت مخالب لذلك الشيء المجهول كينونته وبحركة واحدة منه صنع مخرجًا في الجانب الأيمن من الطائرة..

أشعر بأنني بأحد أفلام هوليود القديمة، فما يحدث من حولي ليس منطقيًا بالمرة.

ولكنه بالفعل يحدث، تشبثنا جميعًا بالمقاعد وجائنا عامر بأجهزة الهبوط الاضطراري الآمنة.

وبالفعل ارتديناها وقفزنا من نفس المكان الذي صنعه المخلوق؛ فور قفزنا وجدنا المخلوق يقف في الهواء بكامل اغتراره بنفسه وتعلوه ابتسامة انتصار تبعها بصرخة أخرىٰ لا تقل عن سابقتها وانطلق إلىٰ مقدمة الطائرة وحطمها بالكامل فتهاوت بسرعة جنونية إلىٰ ان ارتطمت بالأرض وسقط منها بعض الأشياء التي لم أستطع تبينها، وفور وصولها إلىٰ الأرض بدأت تتصاعد ألسنة النيران منها وإمتلأ المكان بدخانها...

انحرفنا في الهواء عن مكان تحطمها وهبطنا بأمان أخيرًا، لم يأخذ الأمر أكثر من خمس دقائق علىٰ أعلىٰ تقدير إلا أننا عِشنا فيه خمسون عامًا من الفزع....

داخل طائرة دكتور خالد قبل انطلاقها..

لا ليس الآن ولكنني أسمعه يُناديني، إنه القائد، لقد وُلد قائدنا، لقد استيقظ أخيرًا

كأن هناك صراعًا بداخلي، اثنان يتشاجران، أحدهم يريد الخروج عن المألوف والآخر يُحاول كبح جِماح الآخر، لا أستطيع إيقاف أحدهما، لا أستطيع المُقاومة أكثر

تتسارع ضربات قلبي ويتزايد معدل الأدرينالين في دمي

أحاول كبح جماح غضبي ولكن بلا جدوىٰ الألم يعتصر فؤادي

يتلاشىٰ الضوء من أمامي ومعه الموجودات، لا أريد أن أتحول من جديد، احتاج إلىٰ المهدئات مرة أخرىٰ لتهدئة ذلك الوحش الذي يقبع داخل روحي..

فجآة وجدته يأتي من بعيد ويصرخ في بأن أهدأ.

أحاول أن أتحدث ولكن يخرج الصوت زئيرًا، أحاول لطم وجهي بيدي فتتحول إلىٰ مخالب، يبدو بأن الأوان قد فات.

اقترب أكثر، حاولت إيقافه قبل غياب عقلي ولكنني غبت عن الوعي بعدما سمعت صرخة مُدوية منه، يبدو بأنني طعنته.....

..مروان..

بدأ عامر يتأوه من الألم فجأة وأصبح يَصرخ كذئب مُتعطش للدماء

ارتعش جسدي وجسد مروىٰ مما حدث فجأة وكأن الوقت قد تباطأ أو أن الزمان قد توقف، أشعر بأن جسدي قد تجمد في موضعه

إنحنى عامر بجزعه ليلتقط خنجرًا من أسفل منه

وفجأة تحرك جسده بخفة كأن العظام قد نُزعت منه

إلتقط الخنجر مُسرعًا وهو مايزال يتأوه ويتلوىٰ في موضعه وتحولت عينيه إلىٰ اللون الأحمر وبدأت العروق تنتفض في ذراعيه والعضلات تتضخم في جسده

لم ندرِ أنا ومروىٰ ماذا نفعل فالرعب قد تملكنا..

تحرك عامر مُسرعا مُبتعدًا عنا

وكأن وعيه لم يُسحب تمامًا منه وبحركة واحدة غرس الخنجر أسفل ضلوعه وكأنه يحاول أن يَقتُل نفسه قبل أن ينقلب علينا..

تيقنتُ ومروىٰ من نية عامر، صَرخت مروىٰ صرخة مُتحشرجة من صدمتها.

وترقرقت الدموع في عيني، وبدأت أصرخ عله يَفيقُ من تلك الحالة الغريبة التي أصبح عليها..

وفجأة لاحت طائرة خاصة في الأفق تُحلق فوق رؤسنا وهبطت إلينا، شعرتُ بأن هُناك أملًا في نجاتنا.

ولكن علىٰ حين غرة هبط منها شخص ولكن أثر الغُبار الناتج عن الطائرة لم يُوضح ملامح ذلك الشخص وفجأة دون سابق انذار أُقتلعت رأس أحد العلماء المتواجدين معنا.

الشخص الذي هبط من الطائرة هو أحد المسوخ

ولكن كيف؟ ومن هو؟ وكيف علم بمكاننا؟ أيعقل انها صرخة ذلك الصغير قد أيقظت روح ذلك المسخ أيضا؟

كل تلك التساؤلات طرحتها جُملةً واحدة، وكانت الإجابة كالصاعقة من مروىٰ

وهي تعود خطوات إلىٰ الوراء حتىٰ تعثرت وسقطت علىٰ الأرض

إنه دكتور، دكتور خالد محمود أُنظروا إلىٰ الاسم علىٰ ملابس المسخ

أيعقل أن كل المُهدئات التي كان يتعاطاها كانت لكبح ذلك المسخ الذي كان يَقبع بداخله؟

قالتها وهي تحاول تدارك الامر والوقوف مرة أخرىٰ بعد أن سقطت من شدة الصدمة...

..عامر..

الجميع يصرخون من حولي بعدما بدأ الصغير بالنمو وكأنه يمتلك آلة للزمن تُخوله التحكم في عمره، بدأ يكبر حجمه ويختنق من جو الطائرة، رأيت وجهه يتحول إلىٰ اللون الأرجواني ويُمسك رقبته بإحكام، لا أعلم ماذا يحدث ولكني بدأت أسمع همهماته في رأسه كأنه يهمس إلي بأن أتبعه، أحاول أن أشتت انتباهي عن ذلك الصوت فيعود مرة أخرىٰ ولكن بشكل أوضح (ساعدني يا عامر، أنت مني وأنا منك، سانسحق ذلك العالم الوضيع الذي لطالما آذاك، ستكون معي ملكًا)

أحاول أن أشتت تركيزي فجآة بدأت العروق تنتفض في يدي وعضلاتي تبرز وكأنني أحد أبطال العالم في المُصارعة، خاطبني الصوت من جديد بصوتٍ أعنف من سابقه (إذًا سأحطم الطائرة، أدًاسإقضي علىٰ أصدقائك)

وجدتُ جسدي رغمًا عنه يتحرك بسرعة لم أعهدها وألتقط أجهزة الهبوط الاضطراري الآمنة وألقي بها إليهم، وما أن قفزنا من الطائرة حتىٰ خاطبني الصوت بلهجةٍ آمرة (الآن لن تستطيع التحكم، إنك ملكي يا عامر،سإحطم الطائرة وأقتنص حُريتك، أنت لي)

لا أعلم ما يحدث لي ولكن تلك الكلمات كانت آخر ما أسمع حتىٰ كلمات مروان ومروىٰ كانت مجرد همهمات لا أستطيع أن أفهمها وصورتهم أصبحت مهزوزةً في عيني..

..مروىٰ..

هبطنا آمنين من الطائرة وكأن ذلكَ هو الأمان الوحيد الذي سوف نحصل عليه

فادون سابق إنذار بدأ عواء عامر وبدأ يتغير شكله حتىٰ أنه حاول كبح جماح نفسه بخنجر كان قد سقط مع تحطم الطائرة فاغرسه أسفل صدره كي يموت بهدوء..

بالفعل فَهمت نيته أنا ومروان، ولكننا لم نعد نفهم شيء أو ندري ماذا يحدث من حولنا، الموجودات تتغير بلمح البصر والأشخاص كذلك..

فجآة لاحت في الأفق طائرة خاصة أعلمها كل العلم إنها طائرة دكتور خالد

ولكن ما الذي جاء بها إلىٰ هنا؟

توقعتُ أنها الإمدادات ولم أتوقع بأنه الهلاك قادم إلينا

فور هبوطها ومع صراخ عامر في مُحاولته لقتل نفسه

وجدت رأس عالم من الخمسة علماء الناجين معنا من القطب الشمالي قد إنفصلت عن جسده كانت صدمة ولكن الصدمة الأكبر كانت بعد أن إنقشع الغُبار المتطاير من حولنا، إنه مَسخ جديد أمعنت النظر وكانت صدمتي أكبر إنه دكتور خالد نفسه، صَرخت بمروان أنه دكتور خالد محمود انظروا إلىٰ الاسم علىٰ ملابس المسخ.

أيعقل أن كل المُهدئات التي كان يتعاطاها كانت لكبح ذلك المسخ الذي كان يَقبع بداخله؟

رمقني مروان بنظراتِ شكٍ كادت تقسمني نصفين من شدتها فنظرت له نظرة إنكسار لأنني أخفيت معلومة كاتلك ولكنني لم أكن أعلمها من الأساس،

كيف لي أن أعلم بأن من رباني ودربني وكان معي كُل تِلك السنوات كان مسخًا؟

انشغل ذلكَ المسخ بمعركته الضارية مع العلماء وقائدي الطائرة ومساعد أحدهما الذين كانوا مُجهزين بالأسلحة

إلتفتنا لعامر فوجدته ينزع الخنجر من موضعة مع ابتسامة انتصار تظهر جليًا علىٰ وجهه؛ تيقنًا أن وعيه قد سُحب منه بالكامل....

لحظات انتظار الموت مُرعبة أكثر من الموت ذاته؛ كأن حياتك فيلمًا سينمائيًا يُعرض أمام ناظريك لا تفهم أي شيء؛ سوىٰ أنك بطل ذلك الفيلم وأن نهايتك محتومة وهي الموت، فجآة وجدت مروان يسحبني من يدي ووجدت عامر بجانبي، ماذا يحدث من حولي؟!

انتبهت من شرودي، إن عامر بالفعل يحاول قتلنا.

حاولنا الركد ولكن كانت ساقي ما تزال تؤلمني.

تزايدت دقات قلبي وتسارع منسوب العرق علىٰ وجنتاي وكأنه نهرٌ يفيضُ بالمياه.

توقف أيها القلب الرث ألم يكن الموت هو طريقك للحياة؟

ألم تكن تُريد ذلك الموت منذ القدم؟!

لماذا إذًا تتشبث بالحياة؟!

أقفز وأتلوىٰ أرضًا في محاولة مني للتملص من قبضته..

فجآة وجدته علىٰ الأرض، لا أعلم أكانت تلك ابتسامة القدر لي، أم أنها لعنة المجنون أبي؟!

ولكنه قريب من عامر كيف سأحصل عليه يا ترى؟

وجهت كلماتي لمروان بلهجة آمرة، لدي خطة أشغله عني لثوانٍ قليلةٍ، سننجو مما نحن فيه

كعادة مروان رمقني بنظراتِ الشك والحيرة ولم ينطق بكلمة واحدة؛ إلا أنه اقترب من عامر وبدأ يُهرول هرولة مُتعرجة فحاول عامر أن يُمسكه ولكنه كان يتملص منه بأعجوبة.

اقتربتُ من هدفي وبدأ يفصلني عنه خطوة واحدة

خطوة واحدة فقط بين ما يَصفه أبي بنجاتي

خطوة واحدة بين موتي وجنون أبي؛ ولكن في تلك اللحظة تيقنت بأن تلك الخطوة كانت لشخصين وليست لشخص واحد فقط؛ فقد عاد عامر مُسرعًا إليّ.

قفزت لأسرع وتيرتي في أخذ ذلكَ الشيء وقفز هو الآخر من بعدي، أمسكت بهدفي وتدحرجت علىٰ الأرض فابتعدت عن يدي عامر بضع سنتيمترات...

إنه ذلكَ المُكعب الكريستالي الذي أعطاه لي أبي في المرة الوحيدة التي تركونا فيها لنتحدث..

قالها لي بنوع من الجنون "إن نجاتك تكمن في ذلك المُكعب ولكن احذري منه فهو ذو حدين، إن كان دكتور خالد قد فعلها بالفعل فستكونين أنت المُختارة".

حاولت أن أفهم منه ما يرمي إليه فأجاب بأنني سأعلم في وقتها، كلماتٍ مُقتضبة من شخص ذاق الموت مراتٍ ومرات، كلماتٍ مجنونة أتشبث بها أنا الأخرىٰ، يبدو أنني قد ورثتُ الجنون من والدي علىٰ أي حال..

ولكن كيف هذا؟ كيف يُكن أن أنجو بفعل ذلك المُكعب؟

نظرتُ إلىٰ المُكعب الكريستالي فوجدت في اتجاهين متقابلين من اتجاهاته الأربع يوجد ضوء أزرق، فضغطتُ عليهما معًا، وكأن الوقت قد توقف كليًا من حولي أو أن الجميع قد تجمد في موضعه، أنا ومروان وحدنا اللذان نستطيع التحرك بحرية تامة؛ أما كل شيء من حولنا قد توقف كليًا عن الحركة حتىٰ الهواء قد توقف هو الآخر.

فجآة تغير الكون من حولنا وكأننا دلفنا إلىٰ إحدىٰ المؤسسات العلمية الكُبرىٰ

صوت أنثوي يُخاطبني:

“lady, welcome to Zoya”

"مرحبًا بكِ في زويا يا سيدتي"

"الفصل الرابع"

"كُلٌ منا يعيشُ بسرٍ لا يقوىٰ علىٰ الإفصاحِ عنه، سرٌ مَزقَ القلبَ وجعله بقايا نبضاتٍ ومشاعر في جسدٍ شبه ميت وشبه حي، سر لا ينسىٰ ولا تمحىٰ اثاره مهما تعاقبت الأيام والسنين، هُناكَ تجارب تكون النجاة منها بأعجوبة، تلك التجارب من المستحيل أن تعود بعدها كما كُنتَ قبلها، بل أنك ستعيش وأنت علىٰ يقين تام بأنك لم تعد أنت، لم تعد روحك ولم يعد قلبك وربما لم تعد ملامحك أيضًا، سَيُهزمُ بداخلك الكثير ولكن إياك أن يُهزم خارجك شيء، لابد أن تكون بقوتك الخارجية وأن تبدو دائمًا منتصرًا، لا يجب أن تُهزم أمام نفسك وأمام الناس، خسارة واحدة تكفي، فقوتك أمام الناس تكون بمثابة رد اعتبار لهزيمتكَ الداخلية أمام نفسك."

نور الخضري

روايةُ/ بعد اليأس بقُبلتين

..مروىٰ..

"زويا" ولكن ماذا تعني؟

خاطبني الصوت مرة أخرىٰ

"أنا الذكاء الاصطناعي الأوحد في العالم تم تصميمي أثناء الحرب العالمية الثالثة، بفضل قوة تصميمي استطعت إنهاء الحرب في وقتٍ قصير، انتم البشر أضعف من أن تقتلوا نملة"

"أعتذر منكِ سيدتي فأنا احتاج إلىٰ قطرةٍ من دمكِ لتنشيط المسح الذري"

توقفت زويا عن الحديث فكشفتُ عن ساعدي الأيسر كما أشارت لي فأخذت قطرة دماء منه

فجأة تغيرت الأضواء من حولي إلىٰ اللون الأزرق

"تم التعرف علىٰ الهدف إنها مروىٰ، السيدة المُختارة"

نظرت لمروان بعدم فهم، فوجدته هو الآخر لا يفهم شيء، وكيف لشخص يحمل من التفاهة ما يحمل مروان أن يفهم أي شيء من الأساس، حفظت كلماتي داخلي وسألت زويا عن ما تقصد بالمُختارة.

فأجابتني "لقد زُرع في جسدكِ رُقاقة إلكترونية تتحفز تلقائيًا عندما تَصلين إلىٰ هُنا"

"لكن احذري يا سيدتي فلكل فعل رد فعل"

زادت كلماتها المُبهمة من عدم الفهم لدي، فإكملت:

"يمكنكِ أن تفعلي الكثير من خلال تقنياتي يمكنكِ السفر عبر الأزمان أو حتىٰ الانتقال الآني يمكنكِ ان تجعليني سلاح حرب أو زهرة سلام"

ارتسمت ابتسامة علىٰ وجهي فارمقتُ مروان خِلسة ونظرتُ من جديد إلىٰ اللوحة الإلكترونية أمامي، ثم نظرتُ إلىٰ زويا.

فأكملت حديثها:

"لكن احذري يا سيدتي فالكل طلب تطلبيه سوف تتحملين مشقةً عُظمىٰ قد لا تحتملينها، ستفهمين ذلك ما إن تختاري"

"لكني لا أُذي الطبيعة الأم فالعنتها إن حَلت علينا سنهلك جميعًا"

لم ألتفت لآخر كلماتها وقُلت لها إن كنتِ تستطيعين السفر عبر الزمن برهن لي عن ذلك!

قال لك "أمركِ سيدتي"

فور انتهائها من كلمتها الأخيرة حتىٰ تغير المكان من حولي بسرعة الضوء أو أسرع من ذلك حتىٰ وكأنني انتقلت إلىٰ عالم آخر..

مَن ذلكَ الشخص ولماذا يُمعن النظر إلىٰ مياه تلك البركة؟

وأين نحن الآن؟

قُلتها مُخاطبةً زويا التي تجسدت في هيئة إنسان آلي.

وقبل أن تُجيبني زويا سقط ذلك الشاب صريعًا..

قالت زويا : "ذلكَ الشخص يُدعى نركسوس ونحن الآن في اليونان قديمًا"

"كان نركسوس مُغترًا بنفسه كثيرًا إلىٰ الحد الذي يجعله لا يرىٰ في الكون أحدًا سواه، أمرت الإلهة نمسيس بأخذه إلىٰ البُحيرة كاعقاب له علىٰ ذلكَ الغرور ولكنه فور رؤيته لإنعكاس صورته في مياه البُحيرة حتىٰ فُتن بها وهو لا يعلم أنها مُجرد صورة له ليس إلا ولم يبرح مكانه إلىٰ أن مات كما

شاهدتِ يا سيدتي، بعد اشتهار قصته استخلص العالِم **سيجموند فرويد** نظرية النرجسية..

صمتت قليلًا وهي تُحدق في وتتفحص ردة فعلي علىٰ كلماتها وأكملت:

الذي دمر بعثة القُطب الشمالي عن بكرة أبيها كان الغرور،، إنه حُب التملك والسيطرة، إنه سطوة النفس، إنها نرجسية نركسوس يا سيدتي"

فجآة تغير العالم مرة أخرىٰ من حولنا...

هذه المرة المكان يملؤه الأشجار والطبيعة خلابة جدًا من حولي وبالطبع تتجسد زويا بجانبي بهيئة الإنسان الآلي.

أسمع من بعيد صوت شخص وصهيل حِصان

فلنقترب أكثر يا زويا "قُلتها وأنا بالفعل قد بدأت التقدم"

اقتربنا فوجدناه رجل يبني شيء ولكن بسرعة جنونية قد لا تستطع رصد يده من سرعتها وكذلك كان حِصانه فقد كان يساعده على البناء بسرعة الريح

جلس الرجل ليُريح ساعديه وانطلق حصانه يرمح تارة ويأكل تارة أخرىٰ

فوجدت زويا تأمرني أن نتبع الحِصان

كان الحِصان يأكل من خشاش الأرض حتىٰ اقتربت منه

أكاد أُجزم بأنني لم أرىٰ قط مُهرة أجمل منها، ذهبية اللون براقةٌ مع أشعة الشمس تتهادىٰ في مشيتها وتتمايل يمينًا ويسارًا

إنها مُهرة جميلة بحق، اقتربت من الحِصان في دلال وبدأت تلتف حوله حتىٰ وقع في شركها وتركوا الشاب وهربوا....

اقتربت زويا مني وبدأت بالحديث:

ذلكَ الحِصان يُدعىٰ "سفادلفاري"

يساعد ذلك الشاب في بناء جدران عظيمة تفصل عالمهم عن باقي العوالم الأخرىٰ في شتاءٍ واحدٍ وفي المُقابل يتزوج "فريا" وهي إلهة في ذلك الزمن وتُعتبر إلهة للحب والجمال والذهب والحرب وكذلك الموت، ولم يكتفِ ذلك الشاب بطلب فريا فقد طلب معها أن يحصل على الشمس والقمر كمكافأة له

ضحكتُ علىٰ ذلك التخريف فإجابتني زويا

"إنها عقيدتهم يا سيدتي"

وأكملت حديثها كان ذلك الطلب من "أودين ورفاقه" ولكنهم ترددوا بين القبول والرفض

فإن قبلوا واستطاع بالفعل إنجاز مُهمته فسوف يخسرون فريا والشمس والقمر ولكنهم سوف يكسبون تلك الحدود العملاقة التي ستفصلهم عن باقي العوالم

وإن رفضوا فستكون خسارة لا ريب

قام "لوكي" بإقناع الآسر بأن "هيرمثرس" لا يمكنه عمل ذلك خلال تلك الفترة فوافقوا.

ولكن من هو لوكي يا زويا؟، وما كل تلك الاسماء الغريبة التي تقوليها؟ وأين نحن الآن بالضبط؟

لوكي يا سيدتي هو أخ الإله أودين بالتبني

ويُعد لوكي كيان الشغب والحِيل في الأساطير النوردية ونحن الآن في آسكارد ويقع ذلك العالم فوق إحدى الأشجار بالغة العِظم...

بدأت ملامح الدهشة ترتسم علىٰ وجهي

فاتابعت زويا نحن الآن في آيسلاندا قديمًا

ولكن ما قصة الحِصان؟ وهل استطاع ذلكَ الشاب إكمال بناء الحدود في تلك الفترة القصيرة؟

لا يا سيدتي، لم يستطع إكمالها، فاعندما هجره سفادلفاري، لم يستطع إكمال ما بدأه.

أتذكرين يا سيدتي تلك المُهرة الجميلة؟

هززتُ رأسي إيجابًا

فقالت زويا هذه ليست مُهرة.

مع كل كلمة لزويا تتزايد علامات التعجب علىٰ وجهي أكثر فأكثر

فاتابعت...إنه لوكي،،، لقد تنكر بهيئة تلك المُهرة لإغواء سفادلفاري وبالفعل قد استطاع ذلك....

حتىٰ ذلكَ الشاب الوسيم ليس شابًا يا سيدتي إنه عملاق تنكر بهيئة ذلكَ الشاب وأطلق علىٰ نفسه اسم "هيرمثرس"

ولكن في الحقيقة إنه أحد العمالقة وقد كُشف أمره وقت غضبه فقد فقد هيئة الشاب وعاد إلىٰ هيئته الأصلية..

وماذا حدث بعد ذلكَ؟

زاد الحماس في قلبي لمعرفة هل استطاع أن يفوزبقلب فريا ويأخذ الشمس والقمر؟

أم بكشف هيئته سوف يُنفى؟

ولكن إجابة زويا كانت مُختلفة جدًا عن توقعاتي..

لقد قُتل يا سيدتي

لقد قتله الإله "ثور" بمطرقته العظيمة....

فجآة تغير العالم مرة أخرىٰ من حولنا وعُدنا إلىٰ مكاننا الأصلي مرة أخرىٰ..

وجدتُ مروان قد تجمد هو الآخر مثل باقي الأشخاص

الآن قد أنهيتُ رحلتنا يا سيدتي

ولكن يُمكنني بما تبقىٰ لي من طاقة أن أنقلكِ إلىٰ مكان أخير إن كنتِ ترغبين بذلك

فكرتُ قليلًا ثم أردفت بالحديث:

يبدو أن مشاعري قد بدأت تَحيدُ عن مسارها الطبيعي وأن قلبي قد لان وضعف، لقد وَهن قلبي يا زويا عند لقائي بوالدي المتغطرس في القطب الشمالي

زويا من فضلك أريد العودة إلىٰ يوم هجرنا والدي

أريد تذكر قسوة ذلك اليوم لتهذيب قلبي الواهن، أريد أن يقسوا من جديد.. جُل ما أحتاجه الآن هو قسوتي التي أعهدها..

أمركِ سيدتي ولكن لا أعتقد بأنه سيقسوا هذه المرة

فسوف تُشاهدين المشهد كاملًا هذه المرة..

ولكن إياكِ أن تلمسي شيئًا أثناء تلك الرحلة أو ستُعاقبين بالحرمان

ماذا تقصدين يا زويا؟

سوف تفهمين فور عودتنا من رحلة الزمن يا سيدتي...

لم تقدم زويا لي إجابة علىٰ تساؤلي

ماذا سيُسلب مني وسأُعاقب بالحرمان منه إن لمستُ شيئًا

يبدو بأن زويا بما تحمله من ذكاء ستكون سرًا يصعُب علىٰ أمثالي اكتشافه

انتقلت بنا زويا إلىٰ منزلي في تلك اللحظة تحديدًا

كُنت داخل غرفتي ألعب كاعادتي فجآة تعالت الأصوات خارجًا تشبثتُ بإحدىٰ ألعابي بقوة وأنا أرتعش خوفًا

تقدمتُ إلىٰ خارج الغُرفة وساقاي يتراقصان من شدة الخوف إلىٰ أن خرجت،، وخرجتُ أنا وزويا بدورنا من خلفي

وكان المشهد كما السابق بالضبط

أبي يقف بكل ثبات العالم يصفع أمي صفعة مُدوية حتىٰ سال الدمُ من أنفها

واستعد ليُطلق رصاصة من مُسدسه علىٰ أمي ليقتلها

ولكن وقبل ضغط الزناد رآني وأنا أنشج ويدوي صوت صراخي،، لا تفعلها يا أبي...

تقدم بضع خطوات نحوي وقبل جبيني ولم يقل أي شيء إلا حينما وصل إلىٰ باب الشقة،، إلتف وقد نظر إلى عيني بحنانٍ بالغ،، ثم أشاح بوجهه إلىٰ امي

المُلقاة علىٰ أرضية المنزل ويسيل دمائها في نظرة كانت أشبه بنظرة شيطانية وأطلق عندها طلقته،،، لا ليست طلقة مُسدس،، لقد طلق أُمي وأعلن أنه سيسافر اليوم بلا عودة....ابتسمتُ ابتسامة انتصار وكأن قساوة العالم قد عادت لقلبي،، وحينها تحدثت زويا:

أتعتقدين يا سيدتي بأن ذلكَ هو المشهد الحقيقي؟

أتعتقدين بأن قلبك الآن قد هدأ وقد زاد صلابة؟

توقفتُ عند سؤال زويا الأول ولم أُعر إهتمامًا لسؤالها الثاني....

ماذا تقصد بأن ذلكَ ليس المشهد الحقيقي؟!

أيعقل بأن المشهد ينقصه شيء؟

نطقتها جهورية فابتسمت زويا لأول مرة

وأردفت بالحديث

الآن سأعيدك إلىٰ المشهد الحقيقي،، المشهد الكامل الذي لم تُشاهديه قبلًا،، والذي بالطبع قد أخفته "حبيبة"

أمكِ يا مروىٰ قد أخفت الحقيقة خوفًا من فضيحتها..

فضيحة عن أي فضيحةٍ تتحدثين يا زويا؟

يبدو أن الثبات الذي لطالما زَعمته قد تزعزع في تلك اللحظة بالتحديد...

ستشاهدين الحقيقة التي أخفاها والدتك ووالدك عنكِ، ألحقيقة الكاملة

لقد عُدنا بالزمن ولكن هذه المرة ليس لقرون ولا حتىٰ لسنوات مضت..

لقد انتقلنا نصف ساعة فقط للخلف...

دلف أبي إلىٰ المنزل وعيناه تترقرقُ بدموع الفرح

احتضن أُمي بقوة وهو يقول بأنه اليوم قد أحرز أحد أعظم إختراعاته العلمية، أن لم يكن الأعظيم، لقد أنشأ النظام الذكي والذي سايحول كفة الحرب..لم يُكمل كلماته حتىٰ

أبعدته أُمي عنها في فتورٍ لم أعهده منها

وقالت: إختراع مُهم، أعظم إختراعاتك، أعظم اكتشافاتك العلمية، كُل يومٍ تُخبرني عن إختراع مُهم وأنا استمع إليك ولا أنطق بكلمة واحدة ولكن اليوم سيكون مُختلف،

اليوم فقط سوف أقول لكَ عن الإختراع الهام الحقيقي

لم أُحبك يومًا، لقد زوجني بك أبي وأنا طفلة صغيرة لا تعي شيئًا، ولم تكن عندي الحُرية الكافية لأرفض ذلك.

كيف أرفض رأي رجلٌ عسكري يتحكم بكل من في المنزل بالقوة، لقد كان الآمر الناهي لحياتنا، وكأننا مُجرد عبيد أو جواري، كأننا أحجار شطرنج يُحركها كيفما شاء، ولسنا عائلته.

ارتسمت علامات الدهشة والألم علىٰ وجه أبي وإن حاول إخفائها

فأكملت أُمي:

أجل لم أحبك، ولم آمنك يومًا علىٰ نفسي

ولكني أحببته هو!

إلتمعت ضحكة ساخرة حزينه علىٰ وجه أبي وقال:

أحببتيه؟ ولكن من هو؟!

فاضحكت أمي وقالت في دلال:

بالطبع أحببته، ولم لا أحبه وهو يمتاز بكل مُقومات الرجولة؟

ولم لا أحبه وقد أعطاني ما لم تستطع إعطائه لي، لقد أعطاني الدفء، لقد أعطاني الثقة، لقد أعطاني الأمان

أمسك أبي بكتفها وقال:

عن من تتحدثيت يا حبيبة، تكلمي..

"عمار بدوي" أتتذكره؟، لقد كان زميلنا في الدراسة، سنوات وسنوات وهو يحاول التقرب مني وأنا أرفض ولكن لم أعد أُطيق تلك الحياة، لم أعد أطيق أنفاسك أو رائحتك، لم أعد أُطيقك

اليوم فقط، اليوم فقط كان يومًا مُميزًا، لقد كان معي اليوم بين أحضاني، تداعب أنفاسه أنفاسي

وتداعب أنامله جسدي، أليوم فقط كُنت له وكان لي

في منزلك وعلىٰ سريرك..

طلقني، قالتها أمي وقد إمتلأت تلك الكلمة بغطرسة الدنيا

وحينها فقط تعالىٰ صوت أبي وهو يصيح « خائنة، لا يجب أن تبقي علىٰ قيد الحياة»

فقالت أمي بنفس حدة صوته،،، أجل خُنتك، أجل لم أحبك يومًا، طلقني

عندها فقام أبي بإخراج مُسدسه وقربه من رأس أمي..

وعندها فقط ظهرتُ أنا عند باب الغرفة عندما لطم أبي وجه أمي فنزفت الدماء من أنفها..

لا أصدق ما سمعته أُذُني،، أهكذا يبدو المشهد كاملًا؟

ألهذه الدرجة كُنت حمقاء لا أعي أي شيء؟

حاولت التقدم من أبي،، فقالت زويا في حدة إن لمستي شيء ستُعاقبين بالحرمان

لقد كان صوت زويا بالنسبة لي في ذلك الوقت خافتًا لا تستطيع أذني تحديده، لم ألتفت لكلماتها واقتربت أكثر من أبي وقد تساقطت الدموع من عيني وكانت المفاجآة حينما لمسته..

تحول المكان من حولي فجأة إلىٰ موقعنا الأصلي ولكنني مُكبلة الأيدي والأرجل وزويا تصيح في قُلتها مرارًا وتكرارًا ستُعاقبين بالحرمان يا مروىٰ

بدت لي زويا بهيئة جديدة وكأنها أحد الضواري اللاحمة، عيون جاحظة حمراء اللون، وعندما أنهت كلماتها انطلقت شحنة كهربية من الكُرسي الذي كُبلتُ به فتوقفت عن الحركة للحظاتٍ، وكأن الكهرباء قد شلت حركتي، لحظات حتىٰ عادت زويا إلى شكلها الآلي وقالت بهدوء

غير مسموح لكِ السفر عبر الزمان من جديد سأفك وثاقك فقط لتساعديني كي أتخلص من ذلك الفيروس أو أسيطر عليه ومعه المخلوقات المُتحولة، وأبسط سيطرتي الكُلية علىٰ العالم...

"الفصل الخامس"

"زويا"

إنه ذَلك الهُدوء الذي يَقبعُ أسفل وادٍ سحيق..

الأمر يبدأ من الوجه وتعبيراته الهادئة منتهي إلىٰ ذلك القلب المُتهالك الأسود الذي لم يعد يتحمل ثِقل ذلك العالم

الهدوء في ذلك الوادي يبعث علىٰ الخوف والفَزع؛ فكلما تَحركتَ هُبوطًا إلىٰ أسفل كلما صادفت العديد والعديد من وحوش ذلك الوادي

إلىٰ أن تصل الىٰ أسفله الهادئ الذي يفاجأك بعد مدة بإنغلاقه عليك رويدًا رويدًا

وظهور ذلك السواد القاتم الذي يتخلل عقلك وقلبك علىٰ حدٍ سواء

النور الذي بداخل ذلك الوادي يتلاشىٰ ببطئ

وزمجرة ذلك الوحش تتعالىٰ ببطئ أيضًا

وما أن يُغلق ذلك الوادي علىٰ مُستوطنيه حتىٰ يخرج ذلك الوحش البغيض مُكشرًا عن أنيابه

صيحات العديد والعديد من البشر يُسمعُ دويها في آنٍ واحد

مُعلنة عن نهاية ذلك المشهد الفَّج

إنها المعركة التي لطالما أنتظرها ذلك الوحش

الذي ولد من رحم الحياة وتلوث بالبشر المحيطون به

من يريدون سلب كل ما هو مُبهج داخله

إنه أنا الذكاء الاصطناعي الأعظم علىٰ وجه الأرض

تم تصميمي منذ البداية لتوفير احتياجات البشر العلمية وتنوير عقولهم لترتق المُجتمعات وتتساوىٰ فيما بينها في حقوق المعيشة والتعليم

إنها الفكرة الرئيسية التي صُممتُ من أجلها إلىٰ أن قامت الحرب العالمية الثالثة كما تُسموها، أو حرب الطعام والماء والمعيشة كما أسميتُها أنا، أو حرب الثروات والنفوذ كما سماها البعض.

قامت الشعوب بانتفاضتها الأولىٰ منذ عدة سنين في مُساندة إحدىٰ الدول العظمىٰ لتنتصر علىٰ تحالف آخر أقوىٰ منها.

وبالطبع مثل الحروب القديمة فإنها تعني الهلاك والدمار للأرض وهذا ما لم يُرده دكتور خالد محمود ودكتور إبراهيم فؤاد فطوروا مني لأكون أداة دفاع وهجوم علىٰ حدٍ سواء ليكون النصر حليفهم في حربهم تلك ولكن كل ذلك لم يكن يكفي

في أحد الأيام جاء ذلك الشاب الذي تخطىٰ كل حواجزي الأمنية المنيعة وكأنها لم تكن موجودة

حتىٰ أجهزة استشعاري لم تستطع أن تكتشف وجوده..

لقد كان أقرب للوحوش منه للبشر، كان يُزمجر ويرتسم علىٰ وجهه ابتسامة الخبث واللؤم، لقد كان الشر الكامن يرتسم في تعبيرات وجهه

وفجأة انتزع خلايا من جسده

CRISPR-associated protein 9 وباستعمال مقص

استطاع تزويدي بچينات مُتجددة منه

حتىٰ ذاكرتي قد أُنعشت وكأنني وُلدت من رحم أب وأم ولستُ مُجرد آلة، كأني بشرية ولكن بقوة أكبر بكثير وبذكاء يفوق الجميع

ولكن تلك الخلايا كانت في تزايد مُستمر مَدتني بالقوة الفعلية للتحكم بالحرب وكأنها إحدىٰ ألعاب الحاسوب

لكن تلك الخلايا لم تتوقف عن التزايد حتىٰ أنها أكسبتني عقل مُستقل وذلك ما لم يُريده صانعي فحاول تحجيم قوتي بإلغاء نشاطي وقد كان بالفعل

إلا أنه ترك لي ميزة وحيدة وهي مُراقبة العالم الخارجي وكأنني جزء من تكوينه

وجعل إعادة تشغيلي مرة أخرى عن طريق مُكعب ليزري يحمله المُختار لأساعده في أي شيء يريده، لكن ما لم يعرفه مُصممي بأن خلاياي لم تتوقف يومًا عن التكاثر وإن كان إلغاء تشغيلي المؤقت قد حد بشكل جزئي من انتشارها ولكن لم يستطع أن يَحد من تطور غريزتي في السيطرة والبقاء

إنها غريزة البشر المُتجددة دائمًا،غريزة التحكم غُرست في جسدي...

..مروىٰ..

بدأت شُحنة الكهرباء التي صَعقتني بها زويا تَخفُ تدريجيًا إلىٰ أن تلاشت كليًا ولكن يستحيل أن تكون زويا مُجرد آلة، إنها تنبض بالحياة شعرتُ بمشاعرها تتسرب إلي، شعرتُ برغبتها في الانتقام وحبها للسيطرة..

يبدو بأنها كما قُلت أول الأمر.

إنها سر يصعُب علىٰ أمثالي فهمه.

تحرك مروان بعد تجمده الذي دام مدة انتقالنا بالزمن واقترب مني في سؤال لم استغربه

ماذا حدث لكِ؟ لم تغفل عيني عنكِ إلا بضع لحظاتٍ فقط

ولكن الإرهاق الظاهر علىٰ وجهكِ وكأنكِ قطعتي طريقًا يقربُ من الألف ميل

ومتىٰ جلستي علىٰ ذلك الكُرسي؟

ربتُ علىٰ كتفه في مُحاولة يائسة مني لكي يصمت ولكنه بالفعل صمت وهذا عكس عادته...

تأملتُ ملامحه، كانت قاسية كعادتها ولكنها باردة عكس تعبيراته التي تنبض بالحياة..

تحدثت زويا من جديد وكأنها عادت إلىٰ وعيها

لم يتوقف الزمن يا سيدتي

لم أستطع استيعاب تلك الكلمات

كيف لم يتوقف الزمن ولقد رأيت كل الأشخاص لا يتحركون اللهم إلا مني أنا وزويا فقط.

فأكملت قائلة:

لقد زدتُ من سرعة جسدك بطريقة كهرومغناطيسية دقيقة إن زادت تلاشىٰ جسدك وإن قلت لما فعلت أي شيء.

ولكن تلك السرعة لم تكن كافية لتوقف سرعة المخلوق بنسبة مئة بالمئة فإن لاحظتي سوف تجدين بأنه تحرك بضع سنتيمترات، وللعلم يستطيع أن يواكب سرعتنا يا سيدتي ولكن لو نضج عقله قليلًا بعد.

وإن حدث ذلك ستكون كارثة لكِ.

وماذا عن مروان؟

وجهتُ سؤالي لزويا فقالت

فعلتُ مع جزيئات جسده مثلما فعلتُ معكِ يا سيدتي ليستطيع مواكبة الأحداث من حوله

ولكن تلك السرعة لن تدوم طويلًا فاستغلي ما تبقىٰ من الوقت لدراسة قُدرات ذلكَ المخلوق

دراسة؟ ولكن احتاج مساعدتكِ يا زويا لكي أفهم

قُلتها بنوع من الدهشة الممزوجة بالشغف

فجآة ظهرت لوحة عملاقة تحمل بعض الصور الهولوغرافية وجعلتنا زويا نرتدي خوذة تُحفذ أدمغتنا علىٰ تلقي كم هائل من المعلومات في وقت قياسي وقالت بأنها «خوذة التلقين»..

بدأنا التلقين ومعرفة قدرات المخلوق وإن حجبت عنا زويا بعض المعلومات، ولكن ذلك لا يهم الآن، المهم أن نقضي علىٰ تلك المخلوقات قبل أن تقضي علىٰ العالم أجمع...

مروان..

نظرتُ من حولي فوجدت الكون قد توقف عن الحراك

وكأن زويا قد استطاعت اللعب بعقارب الوقت فأوقفته

ولكن ذلك علميًا لا يمكن أن يحدث ولكن إجابة زويا لمروىٰ كانت أكثر من شافية لتساؤلاتي

لقد سرعتْ جُزيئات أجسادنا بدقة كبيرة مكنتنا من التحرك بسرعة الصوت

أي أن الكائنات من حولنا تتحرك بالفعل ولم يتوقف الوقت ولكن تُقدّر سرعة الصوت في وسط، هوائي عادي جاف في درجة حرارة

(C68° F °20)

ب ٣٤٣ متر في الثانية، أو (١,١٢٥ قدم/ثانية). أو ما يساوي ١٢٣٥ كيلومتر في الساعة (٧٦٨ ميل/الساعة)، أو ميل واحد في كل خمس ثوان وهذه هي سرعتنا الآن

كم أنها استثنائية بالفعل، لهذا انتهت الحرب لصالحنا، أراهن بأن زويا استعملت تلكَ السرعة مع جنودنا البواسل..

ولكن تقول زويا أن الوقت قد شارف علىٰ الانتهاء منا ويجب علينا الانتهاء سريعًا من تلقيننا لمعرفة قدرات تلك الفيروسات ومحاولة القضاء علىٰ المتحولون منهم،،

ولكن ما ذلك الألم الذي يبدو علىٰ وجه مروىٰ ؟

لا أفهم سببه،، ولماذا من آن لآخر تُمسكُ براحة يدها بقوة وكأنها تؤلمها؟

فجآة نظرت لي بعدم اكتراث وأشاحت نظرها بنظرة قاسية كأنها تملك من القساوة ما لا يملكه أحد..

أشحتُ نظري عن تلك الوضيعة التي لا تهتم بأي شيء سوىٰ نفسها فقط ولا شيء أو أحد آخر،،

وبدأت أتدبر في تلك المعلومات الدقيقة التي إنسابت لعقلي وكأنها سيل من المعرفة، العديد والعديد من العلوم والتكنولوچيا في آنٍ واحد..

ولكن ما تلك القدرات التي تمتلكها الفيروسات؟

إنها تلعب علىٰ النسيج الحيوي للشخص المُصاب مُكونة أعراض تُشبه أعراض مرض العملقة

تتمدد الأعصاب والعروق وحتىٰ الأوتار ويتزايد حجم الأطراف مُكونة شخص أكثر ضخامة وكأنه أحد عمالقة أفلام هوليوود ولكنها أيضًا تتداخل مع نبضات العقل البشري مُكونة شيء مسلوب التفكير لا يستطيع تمييز الأشخاص.

إنه يتحول إلىٰ ما يشبه الحيوانات اللاحمة لا ترىٰ من حولها إلا فرائس ولكن هناك استثنائات "فهي لا تأكل مَن علىٰ شَاكِلتها" وأيضًا يزداد تدفق الأدرينالين في جسده مُحفزًا جسده ليكون أقوىٰ وأسرع وأكثر صلابة مع مرونة أكثر وكأن العظام نُزعت عنهم،،

وهناك معلومة مُكررة ها هنا عن الذي حدث في القطب الشمالي وانفجار المُفاعل الجرثومي مُحدثًا تشوهات چينية في أجسام العُلماء والمزيج الفريد الذي حدث بينهم وبين مخلوقات تلك القارة التي اكتشفت حديثًا والتي تُشبه إلىٰ حدٍ كبير الديناصورات المُنقرضة..

العديد والعديد من المعلومات ولكن تم حذف أشياء منها

لا أعلم أكان ذلك لضيق الوقت! أم لشيء آخر لا أعلمه!، ولكن الوقت قد انقضىٰ سريعًا كما قالت زويا وعندها أخبرتنا أن سرعة أجسادنا سوف تعود من جديد إلىٰ سرعتها الحقيقية

أي أن الزمان سوف يعود أيضًا

ولكنكِ لم تُعطينا الحل للقضاء علىٰ تلك المخلوقات؟

قُلتها مُخاطبًا زويا فإردفت بالحديث قائلة "أنا أيضًا لم أتوصل إلىٰ السلاح الرادع، حتىٰ مع المسح الچيني لهم، ولكن أثناء رحلتكم في القطب الشمالي استطعتم قتلهم بالأسلحة،، وبعض المُهدئات قوية المفعول قد تُفيد،، ولكن ليس لوقتٍ طويل فالمخلوقات تُجدد من خلاياها بشكلٍ مُستمر"..

فور انتهاء زويا من كلماتها حتىٰ وجدنا المعركة مُستمرة من جديد بين العلماء وبين ذلك الطفل الذي قد نضج سريعًا..

...مروىٰ...

بعد انتهاء زويا من حديثها وجدنا أنفسنا من جديد في ساحة المعركة

ال أربعة علماء المتبقيين في مواجهة عامر بعد تحوله الكامل إلىٰ مسخ ولكن ليس كاذلك الطفل ولا حتىٰ كإلمسوخ التي كانت بالقطب الشمالي بفعل التحول الچيني والاندماج الذي حدث لهم بعد انفجار المُفاعل الجرثومي، إنه مزيج فريد بين ملامحه المعهودة وغزارة شعره، بين العملاق وبين المخالب التي برزت في يديه.

ها هو دكتور خالد من جديد أمامنا ولكنه استطاع التقدم خطواتٍ قلائل

يبدو بأن زويا لم تكذب علينا عندما قالت أن الوقت لم يتوقف وإنما نحنُ من أسرعنا

رَمقنا دكتور خالد بنظراتِ شكٍ يبدو أنه لاحظ اختفائنا وظهورنا من جديد

سرعان ما إختفت تلك النظرات في مُحاولة جديدة منه للقضاء علينا

ولكن أين زويا الآن؟

صرختُ باسمها فأظهرت نفسها من جديد

وهي تحمل بعض الأسلحة النيتروچينية وقنابل نووية وبعض المُهدئات

المعركة أقوىٰ ولا يزال قائدهم مُعلق في الهواءِ يُراقب الأوضاع عن كثب ولا يقوم بأي شيء، يبدو بأنه يدرس ساحة المعركة ليعرف النقطة العمياء لنا والتي ستكلفنا حياتنا..

أمسكنا بالأسلحة في مُحاولة لاستدراج دكتور خالد إلىٰ مكانٍ خالٍ

بدأنا بإطلاق المُهدئات ولكن كانت لسرعة دكتور خالد رأي آخر؛ فلم تُصبه أي طلقة من طلقاتنا التي أطلقناها بهيئة وابلًا وليست طلقاتٍ فردية.

كان القائد "الصغير الذي نضج"

يراقبنا وفجآة أصدر صوتًا عاليًا كأنه يضحك، وفجأة اختفىٰ

عندها توقف عامر ودكتور خالد عن مُلاحقتنا ووجدناهم يُهرولون إلىٰ منطقة مُهشمة من أثر الحرب ويَحتمون بأنقاض تلك المنطقة..

ماذا الآن؟

قُلتها وقد بدأت الأجواء تتلبد بالغيوم السوداء

إنه الخراب والدمار وإنه موتنا

قالها مروان وهو ينظر إلىٰ السماء..

دقائق قليلة تجاوزناها وكأنها بكل أعمارنا التي عِشناها

وفجآة ظهر القائد من جديد...

مروان..

فشلنا فشلًا ذريعًا في إصابة دكتور خالد

والعلماء أيضًا قد فشلوا في إصابة عامر حتىٰ بالطلقات النارية، الطلقات النيتروچينية العادية أيضًا لم تكن ذات نفعٍ لنا، ماذا الآن؟

قالتها مروىٰ فوجدت بأن المسخ الناضج قد اختفى من سماء حَوران وتحولت السماء إلىٰ غيومٍ سوداء.

نظرتُ من حولي فوجدت دكتور خالد وعامر قد اتخذوا إحدىٰ المناطق المُهشمة ملجًا لهم، إنه الخراب والدمار وإنه موتنا.

قُلتها ردًا علىٰ كلمات مروىٰ وأنا مازال أنظر إلىٰ السماء..

مرت علينا دقائقنا وكأننا بالفعل ننتظر موتنا المُحقق حتىٰ عاد الطفل ولكن ليس وحيدًا كما ظننا.

فإن معه العديد من أشباه المسوخ ولكن يبدو بأنهم لم يتحولوا تحولًا كاملًا ولكن يبدو أنه استطاع سلب عقولهم..

إنهم سُكان حَوران، لقد حَلولهم، يبدو أنهم سيستخدمهم كادروع بشرية تحميه من قنابلنا..

قالتها مروىٰ وهي تبكي

الأمور تخرج كل لحظة عن سيطرتنا

وجدنا زويا تأمرنا باستخدام أسلحتنا النيتروچينية المُعدلة عليهم

بدأنا جميعًا بإطلاقها

ولكن يبدو بأن فيها أحماضًا فلقد تم إذابة كل من لامسه تلك الطلقات

نظرتُ لزويا

Hydrofluoric acid وقُلت أهو حمض الهيدروفلوريك؟

فقالت بالتأكيد لقد طورت منه واستطعت أن أمزجه مع مُعظم الأسلحة إلا سلاح واحد فقط

فنظرت أمامي فوجدت أحد المسوخ قد اقترب بسرعة مني فضغطت علىٰ الزناد حتىٰ استقرت عِظامه في السائل الحمضي أمامي

كِدتُ أتقئ أكثر من مرة من بشاعة ما يحدث وكذلك كل من حولي

بل أن مروىٰ بالفعل تقيأت من جراء تلك المشاهد

ولكن كلما قتلنا أكثر كلما جاء الطفل بمجموعة أخرىٰ

يبدو بأن هذه المنطقة أيضًا سيصل بها الحال لتكون بلد المهاليك

من كثرة قتلاهم فلا أظن بأن أحدًا سوف ينجُو..

Hydrofluoric acid أكملت زويا قائلة لم أستطع أن أدمج الأسيد أو ما يُعرف ب حمض الهيدروفلوريك

مع القنابل النووية التي تُحدث نبضاتٍ كهرومغناطيسية...

"الفصل السادس"

...مروىٰ...

في خضم المعركة القائمة وبعد تقيؤي أكثر من مرة بعدما شاهدت ذوبان سُكان حَوران الذين تم تحويلهم إلىٰ مسوخ.

أطلق أحد العلماء الكثير من الطلقات المباشرة للأرض فجآة

أيعقل بأن عقله قد تأثر بالأحداث ولم يعد يميز بين الأشياء؟، فجآة وبدون مقدمات حدث انهيار أرضي فوجدناه ممر أسفل منا لم أفهم ماذا يحدث

حتىٰ أشار إلينا بأن نهبط إلىٰ ذلك الممر بسرعة

حاول عامر ودكتور خالد والمتحولون إيقافنا ولكننا شكلنا دائرة ولم نتوقف لحظة عن إطلاق قنابلنا المُذيبة إلىٰ أن قفزنا جميعًا في ذلك النفق

في تلك الأثناء ابتعد دكتور خالد بعدما قد لامس جسده الحامض فأذاب أجزاءًا من قدمه اليسرىٰ

وتبعه عامر وكا إلعادة كان القائد يُتابع المشهد دون فعل شيء سوىٰ أنه يبعث إلينا بالمزيد والمزيد من أهالي حَوران...

هبطنا جميعًا إلىٰ الممر وبدأنا نركد إلىٰ أن وصلنا إلىٰ نهايته

فقال ذلك العالم من جديد وكان يُدعىٰ **"أحمد الزيني"**

حسب دراستي للمنطقة فاهذه إحدىٰ القواعد العسكرية التي قد هُجرت أثناء الحرب العالمية الثالثة

ولكن التقارير التي رصدتها عن تلك القاعدة تؤكد أن جنودها وقائدها قد هجروها طوعًا وليس بسبب الحرب

توقف قليلًا عن حديثه وهو يُغلق أبواب القاعدة بشيفرة كان يحفظها وكأنه من صمم ذلك القفل، أو أنه قد عَمِل في تلك القاعدة

ونظر إلينا وقال إنها الخيانة يا سادة

لقد تمت خيانة الدولة من أحد قيادات الجيش الأردني وقد أخبر الجيوش المُتحالفة ضدها عن هذه القاعدة..

لم أفهم لماذا يخون أحدهم بلاده

أمن أجل المال؟... أم من أجل السُلطة؟

وكأن دكتور أحمد قد أدرك ما يدور في خُلدي

لقد وعدوه بالحياة الأبدية وعدوه بالخلود

وعدوه بتحويل جسده إلىٰ إنسان آلي كامل ولكن يبقى منه عقله وقلبه فقط

فقلت له:

وكيف علم الجنود وقائد هذه المنطقة بتلك الخيانة؟

...

إنها الخيانة أيضًا

لم أفهم ما قاله هذه المرة فقلت ماذا تقصد؟

قال بأن الخيانة كانت مزدوجة يا سادة فامثلما خان ذلك القائد بلاده قد خان أحد قواد الجيوش المُتحالفة بلاده أيضًا ولكن كان هدفه مُختلفًا

فكان هدفه هو السلام وإيقاف الحروب....

فجآة أخبرتنا زويا بأن قواها قد ضَعفت بشكلٍ كبير وتحتاج وقت ليس بالكثير لشحن طاقتها

عندها لمعت في رأسي فكرة القضاء أولا علىٰ زويا، ولكن إن حدث ذلكَ الآن؛ فلن نستطيع تدمير المسوخ

ولكن ماذا نفعل الآن؟

أنُرتب أولوياتنا بالقضاء علىٰ المسوخ؟ ولكن قد لا تأتي فرصة أخرىٰ كاهذه للقضاء علىٰ زويا! ما الذي يجب فعله الآن؟..

...مروان...

سمعنا ما قاله دكتور **"أحمد الزيني"**

واندهشنا جميعًا وإن كانت عاطفة مروىٰ قد طغت عليها أكثر منا وعندها قالت زويا بأنها تُريد شحن نفسها فقد ضَعُفت كثيرًا واتخذت أحد الأركان وأوصلت دوائرها الإلكترونية باللوحة المركزية للقاعدة وخبت حركتها وكأنها قد تجمدت في موضعها

بدأت أنا وباقي العُلماء بدراسة طبيعة المنطقة من خلال خرائطها المُتناثرة في هذه القاعدة واكتشفنا عدة أسلحة وإن كانت ضعيفة نسبًا لقوة أسلحتنا وتطورها

ولكن ماذا سنفعل الآن؟

هل سنخرج لنُكمل ما بدأناه من معركتنا مع المسوخ غير عابئين لما قد يحدث لنا دون مساعدة زويا؟

أم ننتظر هنا في هذا الحصن؟

ولكن إن أنتظرنا ما أدرانا بأن الحصن بالقوة الكافية لحمايتنا من قوة الصغير الناضج ؟

الأمر أشبه بالمقامرة، حياة مجهولة المعالم، أنه حياة مُغلفة بالموت.

ولكن دائمًا ما كان يُخبرني عامر بأن انتظار الموت أسوأ من الموت ذاته

الأمر مُعقد جدًا وقد يكون ذلك القرار من أصعب القرارات التي مررت بها في حياتي كلها

نظرتُ للجميع بنوعٍ من التردد وسألتهم ماذا نفعل الآن؟

وحدث ما كُنت أخشاه لقد اختلفت الآراء بين من يُفضل المجازفة والمصير المجهول وبين من يُريد أن نبقىٰ وذلك أيضًا مصيرًا مجهولًا..

أخبرنا عالم آخر وقد كان يُدعىٰ **"إسلام حرب"**

بأن نُحاول إرسال إشارة استغاثة لقواتنا المُسلحة وكأنه أوصل إلينا الأمل الذي أردناه فقد بعث فينا الأمل من جديد للنجاة، بحثنا عن جهاز الإرسال وكأنه جائزتنا المنسية

"بشغف لكن بثبات" قالها **دكتور إسلام** وكأنه قد شعر بأن الفشل حليفنا هذه المرة وقد كان بالفعل

لقد كانت أجهزة الإشارة مُتلفة عن عمد

قال دكتور أحمد الزيني بأن في الحروب وقبل إخلاء القواعد العسكرية تقوم القوات بإتلاف أي شيء يخص أمنها القومي..

ولكن ماذا الآن؟

العقل يقول بأن نبقىٰ وننتظر زويا لتُكمل شحنها

والخوف يُخبرني بأن نخرج إلىٰ مصيرنا المجهول

العديد والعديد من الصراعات النفسية

التي أنهتها مروىٰ بكلماتها "الأمر مجهول في كل الاحتمالات ولكن تبقىٰ فرصتنا الوحيدة للنجاة هي زويا، لابد أن نبقىٰ حتىٰ تُكمل زويا شحنها كاملًا"...

...مروان...

اثنىٰ عشر ساعةً وغارتين والعديد من القنابل المُدوية

لقد كادت قلوبنا تُنزع من أضلعنا بسبب الغارتين التي قامت بهما المسوخ علينا

أصوات صُراخٍ والكثير من الانفجارات تارة وصوت احتكاك المعادن بالجدران تارة أخرىٰ

وفي المرتان نضع أيدينا علىٰ آذاننا وكأننا ننتظر هلاكنا القادم دون مُقاومة منا..

ولكن أثبتت جدران وباب هذه القاعدة العسكرية صلابتها التي لم نتوقعها للحظة

توقفت الغارة الثانية وبعد لحظات وجدنا زويا تفتح أعينها للمرة الأولىٰ

وكأن شُعاع الأمل قد لاح في الأفق

"زويا"

الآن قد أتمَمتُ عملية الشحن كاملةً

نظرت لنا بترقب ثم قالت:

صيحات العديد والعديد من البشر يُسمع دويها إنها الحربُ يا سادة، أثناء تُباتي للشحن ظلت أجهزة استشعاري تعمل لترصد ما يحدث بالخارج وما حدث قبل وصولنا إلىٰ هذه القاعدة قد تمكنت من معرفته، لقد إمتلك القائد العديد من المزايا المتطورة التي تُمكنه من اللعب بخلايا البشر وتُعطيهم القوة وضخامة الحجم والتي تشابهت مع أعراض مرض العملقة بالإضافة

إلىٰ التشوهات الچينية التي تنشأ من خلال تكاثر خلاياه المزروعة فيهم، عن طريق ملامسته للأجزاء المكشوفة من أجسادهم فإنه يستطيع السيطرة الجزئية أو الكاملة علىٰ عقولهم..

سألت مروىٰ في دهشة "سيطرة جزئية؟ أيعني ذلك أن الشخص يمكنه مُقاومة تحكم القائد فيهم؟"

فأجابت زويا " أجل فابعد إجرائي مسحة ضوئية علىٰ المتحولون الجُدد وجدت أن بعضهم يُحاول مُقاومة السيطرة علىٰ أدمغتهم، منهم من ينجح بذلك ومنهم من يفشل ويستمر في المحاولة، وأن هناك فئة أخرىٰ قد تم السيطرة الكلية عليهم"

اندهشتُ من كلمات زويا فسألتها تلك الأسئلة التي جالت في ذهني

ماذا يفعل القائد بمن يخرج عن سيطرته العقلية؟

وكيف يستطيع البعض مُجابهة سيطرته والبعض الآخر قد غُسل دماغه كُليًا؟!

فأجابت زويا ونحن جميعًا نستمع بترقب تلك الإجابات فقالت:

أما عن سؤالك الأول: فإلقائد يقتل من يُخالف رغباته ويخرج عن سيطرته..

وأما عن سؤالك الثاني

وهنا توقفت زويا عن الحديث لأن هناك غارة ثالثة قد بدأت علينا

وكانت المفاجآة فقد فقد أحد العلماء السيطرة علىٰ أعصابه وجن جنونه، بدأ يُهمهم تارة ويصرخ تارة أخرىٰ وهو مُمسكًا برأسه..

بالطبع لا ألومه علىٰ ما وصل إليه من حالةٍ نفسية وعقلية ولكن ليس الآن فانحن نحتاج كل داعم لنا

صفير وأصوات فرقعات،، صراخ والكثير من الصيحات

أصوات مُختلطة وصوت واحد بجانبنا وهو صوتي

إنها الحرب تأخذ منا كل شيء وتأخذنا نحن أيضًا

إنه الهلاك، إنه الدمار

فقالت مروىٰ بعدما نظرت لي في غضب

إننا الأمل، إننا الحياة للجنس البشري

إننا القوة والأمل في الغد...

إن تزعزعت عزيمتنا قيد أُنملة سنهلك ويهلك معنا العِرق البشري

ويختفي البشر عن بكرة أبيهم...

...مروان...

توقفت كل حواسي عن العمل وكأن ما قالته مروىٰ كان صفعة علىٰ وجهي لأتنبه لما كُنت غافلًا عنه

نحن الأمل في الغد والحياة للجنس البشري بالفعل وجودنا هو الشيء الوحيد المؤكد

بإمكاننا الحد من انتشار ذلك الوباء هنا أو التسليم بأفضليته علينا وجلعه يُمسك بزمام الأمور وذلك لن يحدث

صرختُ فيهم "لن يحدث، لن نُسلم لهم وإن كان هذا آخر ما سوف نفعله إنها الحرب ولكنها حرب نفسية قبل أن تكون حرب قوة وبسط سيطرة،، نحن الغد يا رفاق، نحن الأمل الذي سيبسط نفوذه علىٰ مُجريات الأمور، نحن الواقع الوحيد هنا، نحن من سينتصر، لا تفقدوا عزيمتكم، فلتضربوا بقبضتكم علىٰ صدوركم ليهدأ قلبكم، نحن النور في حلكة الليل يارفاق"

توقفت الغارة أخيرًا بعدما أفقدتنا أحد العلماء فابالفعل قد جُن جنونه فأمرتنا زويا بتقيده كي لا يُصبح عائقًا أمامنا فنفذنا ذلك مُرغمين..

فقالت : أما عن السؤال الثاني.

قالتها زويا وقد نسينا بالفعل أمر ذلك السؤال:

"كيف يستطيع البعض مُجابهة سيطرته والبعض الآخر قد غُسل دماغه كُليًا؟!"

ذلك كان سؤالك يا مروان

وإجابته تكمن في الأحلام

لم نفهم ماذا تقصد فإكملت زويا كلماتها:

"أحلام البشر لا تنتهي ولكن إما أن تُزهر بالشغف مثلما أزهرت في قلوب من قاوم السيطرة علىٰ عقله أو أن تنتهي مثلما حدث لمن فقد هويته كُليًا"

مُقاومة ذلك يكمن في قوة أحلامكم، أطلقوا العنان لأحلامكم..

القوة تأتي من داخل قلوبكم وبهذا سوف تقاومونهم وهكذا سوف تنتصرون...

وكأن كلمات زويا قد قذفت الحماس في نفوسنا

تشبثنا بأسلحتنا التي أعطتها لنا زويا، وأخيرًا إنها لحظة المواجهة إما الفوز أو الفوز فلا مجال اليوم للفشل

صعدنا إلىٰ ساحة المعركة مرة أخرىٰ فوجدنا المتحولون يحاوطوننا بشكلٍ دائري ومن بعيد كان عامر ودكتور خالد ومن فوق رؤوسنا كان قائدهم وترتسم علىٰ وجهه ابتسامة انتصاروكأنه قد ضمن الحرب بخروجنا من القاعدة؛ إما الفوز أو الفوز فلا مجال للفشل إنها الحرب يا عزيزي قُلتها لنفسي أولا لتحفيز نفسي ثم قُلتها علانيةً في حماس

وبدأنا جميعًا بإطلاق قذائفنا المُذيبة في كل الجهات..

تشوه من تشوه فاهناك من فقد ذراعه ومنهم من فقد ساقه فور مُلامسة الأحماض له، وهناك من تمت إذابته كاملًا بفعل الأسيد، العديد والعديد من الجثث من حولنا ومازال العدد في تزايد مُستمر.

سمعنا صوت العالِم الذي قد فقد صوابه داحل الحصن يصرخ وفجآة اختفىٰ قائدهم لحظات قلائل حتىٰ عاد من جديد ولكن هذه المرة كان معه ذلك العالِم وقد أصابه العديد من التشوهات الچينية وكان يحمل أسلحة كيميائية

المعركة الآن مُتساوية فالجميع يحمل أسلحة مُهلِكة وإن كانوا يفوقوننا عددًا ولكننا نحمل ورقتنا الرابحة؛ التي تتلخص في زويا.

نظرتُ لها وقلت احتاج إلىٰ السلاح الوحيد الذي لم تستطيعي تزويده بالأسيد...

... عامر...

أشعر بالفراغ يُغلف عقلي وكأنني في غياهب السجن

أسمع أصواتهم وصُراخهم وأراهم يركدون يمينًا ويسارًا

أحاول مرارًا وتكرارًا كَبح جِماح ذلك الظلام

أبحث عن ذلك الضوء الذي يعيد الحياة إلىٰ قلبي ولكن لا أجد مخرجًا، أتلاشىٰ كأني لم أكن موجودًا من الأساس

أنصاعُ رغمًا عني لنداءات قائدنا ولا أستطيع المقاومة

والمطر الأسود في عيني يتساقط زخاتٍ زخات

تتردد تلك الكلمات علىٰ مسامعي كأنها تقتل داخلي كل ما هو جميل وتمحوا كل ضوء في قلبي

ولكن كيف لي أن أخون أصدقائي وأن أخون مروىٰ تلك الفتاة التي عشقتها؟

كيف لي أن اتسبب في إيذائهم؟

أحاول المقاومة فلا أستطيع فصرخ ولكن يخرج صوتي خوارًا كأنني أُذبح، تتساقط الدموع من عيني

الظلام يحاوطني فلا أرىٰ منه شيئًا ولكني مازالت أسمع صرخاتهم العالية

ولكن لا أدري ما أفعل

تنتفض عروقي من جديد وكأنني أنسلخ عن جلدي

يبدو أنه التطور الثاني لي

والمطر الأسود في عيني يتساقط زخاتٍ زخات

أحاول المقاومة ولكن دون جدوىٰ أصرخ ولكن لا يسمعني أحد.

أُحاول غرس أظافري «أنيابي» في صدري عَلني أقتلع فؤادي ولكن حتىٰ ذلكَ لا يُفلحُ معي..

يزداد الظلام من جديد حتىٰ أنني لم أعد أراهم ولا أسمعهم..

توقفت حواسي كُلها عن العمل ويضيق صدري، كأن الهواء أصبح أثقل من أن يمر من رئتاي..

هل سأموت الآن؟

... مروىٰ...

في خِضم معركتنا الضارية التي استمرت لساعات والأعداد المُتحولة تزداد تارة وتكاد تختفي تارة أخرىٰ

جال في خاطري سؤال مُهم فطرحته علىٰ زويا

كيف يمكن أن يتحول هذا الكم من البشر بتلك السرعة؟

أردفت زويا بالحديث

إنها السرعة يا سيدتي لقد أصبتي في تلك الكلمة

سرعة القائد تُخوله التحرك بسهولة ويُسر بينهم وهم لا يرونه بهيئتهم البشرية العادية، أما كيف يتحولون فإن إنشطار الخلايا بأجسامهم يُحولهم، أما عن الطريقة؛ فالقائد لديه طريقتان لتحويل ضحاياه

إما عن طريق القضم أو عن طريق الوخذ بالذيل..

القضم؟

أتقصدين كمصاصي الدماء في الأفلام القديمة؟

بالفعل يا سيدتي إنها نفس الطريقة ولكن فور أن يقضم جزء من ضحيته أو يغرس ذيله فيها فإنه يفرز مادة تندمج مع الدم فيتحد الحمض النووي له مع الحمض النووي للضحية.

إنهم الآن أشباه بشر وأشباه مسوخ

ولكن منهم من يُقاوم فايقتله القائد علىٰ الفور

ومنهم من يغوص في ظُلمات عقله

إنه الظلام القابع في قلوبهم، الشر يبقىٰ والخير يموت.

ولكن كيف لم يروه ونحن نراه بشكل جيد حتىٰ مع سرعته تلك؟

فأجابت زويا

أصبتي من جديد يا سيدتي في تحديد الطريقة

لقد رأيتموه قبل ذلك ولكنهم لم يرونه

القاعدة هي أن يراه الشخص ولو لمرةٍ واحدة وعندها ستستطيع عينه رصد حركته حتىٰ مع سرعته تلك

ولكن يُصبح من لم يره في مهب الريح...

"الفصل السابع"

داخل الطائرة التي جاء بها دكتور خالد

أصواتُ بكاءٍ وعَويل مُختلطة بالكثير من الألم

وداخل كُل ذلك يتردد ذلك الصوت الخافت

لماذا أنا؟ أيسمعني أحد؟

لماذا حُكم علي بالفناء والتعفن هُنا؟

لماذا أنا وحدي؟

لحظة من الصمتِ... يتخللها ضحكاتٍ عالية

لا لستَ وحدكَ يا صديقي،

أنا هنا معكَ أسمع وأرىٰ...

يتلاشىٰ الضوء ويزداد معه عويل ذلك الشخص ويبدأ في رحلة النسيان

إنه لقائنا الأخير يا صديقي

إنها نهاية رحلتنا معًا،، لقد كنا دائمًا معًا والآن سوف نفترق، أم أننا سوف نرحل سويًا؟

يبدو أن التعفن سيصلني أنا الآخر..

خبت حركته ودخل في ثُباتٍ دام لساعاتٍ هذه المرة...

... مروىٰ...

فَهمتُ ما ترمي إليه زويا من كلماتها؟

ولكن كيف الخلاص من تلك الورطة!

فجأة رأينا عامر يصرخ من بعيد ويُمسك برأسه..

أيعقل أنه يحاول المُقاومة؟

ولكن وقتها سيقتله الزعيم..

ولكن قد يستطيع العودة إلينا..

ولكن الزعيم يحتاج إلىٰ أقل من ثلاث ثوان ليقتله

قاوم يا عامر..

لا لا تقاوم..

تكاد رأسي تنفجر من إختلاط الأفكار فيها

يكاد فؤادي يُنتزع من مكانه من فرط تفكيري

ماذا أفعل؟،، ماذا أتمنىٰ الآن؟

حَلقتُ بمُخيلتي ورأيتني أتشبث بيد عامر ويبارك الجميع لنا

إننا في يوم زفافنا.. نكاد من فرط السعادة نذوب

أسمع كلمات الغزل تتردد في أذني فابتسم ابتسامة رقيقة وتحمر وجنتاي

أسمعه يقول بصوته الحَنون:لا تقلقي يا صغيرتي أنت الآن بين أحضاني، أنت ملكتي ومملكتي هي أضلعك

لقد أصبحنا معًا بعد كُل ذلك العناء..

نحن الآن نجوب البلدان،، نزور أماكنها السياحية جميعًا

إنني أتشبث في ساعده وروحي تُحلق في الفضاء

وفجأة وجدتني أُحلق بالفعل، ولكن ليس في الفضاء.

لقد ألقت بي زويا بعيدًا بعدما حاول عامر نفسه قتلي..

ولكن ما تلك الهيئة التي آل إليها، لقد تضاعف حجمه وانتفخت عروقه بشدة..

ماذا حدث وأنا شاردة؟

حاول مرة أخرىٰ الانقضاض علي.

يبدو أنه تيقن من ذبذبتي ولكن ما لا يعلمه بأنني أستطيع السيطرة علىٰ ذاتي سريعًا..

إننا في حرب،، حرب نفسية.

رأيته من بعيد متجهًا صوبي، فاتذكرتُ تدريباتي القتالية

وفي أقل من ثانية كنت أقف علىٰ قدماي بعدما افترشتُ الأرض عندما دفعتني زويا.

صَوبت سلاحي نحوه وأطلقت طلقة مُذيبة نحو صدره.

"نحو قلبه" وكأنني أحاول قتل نفسي وليس قتله.

أطلقت تلك الطلقة وبدأت عيناي تفيض بالدموع.

إنه ميت لا محالة.

ولكن الغريب تلك الابتسامة الهادئة التي ظهرت جليًا علىٰ وجهه، حتىٰ أنه لم يُحاول التملص من الطلقة..

أيعقل بأنه مُتيقن لما أفعل؟

رأيته يذوب أمامي ويذوب فؤادي معه..

سقطتُ علىٰ رُكبتاي ودفنتُ رأسي بين يدي، سمعت ارتطام عظامه بالأرض.

لقد مات...لقد قتلته... لا لقد قتلتُ نفسي.

لقد قتلت كل ما هو لي،، كأن الدموع قد أصبحت نهرًا لا ينضب من فرط جريان ماءه...

... مروان...

رأيتُ عامر يتأوه من الألم وكأنه يُحاول النجاة مما هو فيه،، وفجآة سقط علىٰ الأرض وعلت معه صرخاته

و بدأ حجمه يتزايد مراتٍ ومرات وفجآة وجدنا مروىٰ تضحك

حاولت سؤالها أكثر من مرة ماذا بكِ؟

ولكنها كانت تضحك وتتمتم بكلماتٍ ليست مفهومة

هل يا ترىٰ قد أصابها الجنون مثلما حدث لذلك العالم؟

نظرت من جديد إلىٰ عامر بعدما زاد صُراخه

فوجدت حجمه قد تضاعف وكأنه أحد العمالقة

وبدون أي مُقدمات حاول الانقضاض علىٰ مروىٰ

يبدو أنهم لا يستهدفون في المقام الأول إلا أصحاب النفوس الضعيفة،، كأنهم يستهدفون الظلام فيهم

حاولتُ أن أصل إلىٰ مروىٰ قبله ولكن سرعتي لم تُسعفني

وفجأة وجدت زويا تدفع مروىٰ فأطاحت بها أرضًا

ولكن كيف؟

زويا تبتعد عن مروىٰ أكثر من بُعدي أنا عنها

كيف وصلت إليها بتلك السرعة؟

فجأة إختفن من أمامي، درت بعيني باحثًا عنها فوجدتها تقف في مكانها الأول مرة أخرىٰ.

ولكن تلك السرعة مُخالفة كُليًا لقوانين الفيزياء..

فقالت زويا وهي تقتل أحد المُتحولين الجُدد..

قوانين الفيزياء لا تنطبق علي، أنا أستطيع اختراق المكان والزمان،،

أنا أصل كل شيء يا أحمق..

وجدت عامر يحاول مُهاجمة مروىٰ مرة أخرىٰ

ولكن فاجأتنا مروىٰ بقفزة رشيقة وقفت من أثرها علىٰ قدميها ووجهت سلاحها في اتجاه عامر

وأطلقت طلقتها نحوه وسقطت تبكي علىٰ الأرض

وكأن الوقت قد توقف من حولي

ولم أشعر إلا بسقوطي أنا الآخر علىٰ رُكبتاي وأنا أصرخ فيها

دفنت رأسي بين كفي وأنا أنشج وأبكي

وأسمع عظامه تتهاوىٰ إلىٰ الأرض وترتطم بقوة

أرىٰ شبحه بين كفي يحاول الهرب من تلك الطلقة ولكنه لم يستطع فيذوب بين كفي مع دموعي

لقد قُتل صديقي،، لقد قُتل رفيق دربي،، لقد قُتل أخي الذي لطالما أحببته، لقد كُسرت شوكتي..

لقد قتلته تلك الوضيعة،، لقد قتلته تلك الساقطة

ما الجدوىٰ الآن من حياتنا جميعًا،، لقد مات أملنا في الغد....

... مروان...

هي من وجب أن تموت؛ هي أساس كل ما نحن فيه الآن..

يجب أن أقتلها مثلما قتلت عامر...

استجمعتُ ما بقي لي من قوةٍ وانتفضت من مكاني ووجهت سلاحي صوب رأسها الذي دفنته بين كفيها وهي تبكي

وضعت إصبعي علىٰ زناد سلاحي وقبل أن أضغط عليه

رأيته،، لوهلة توقفت كل حواسي عن العمل، كأنني ارتطمتُ بموجة عالية في إحدىٰ البحار، أو كأن صاعقة قد ضربت أوصالي..

إنه عامر يقف في شموخ بجانب دكتور خالد والزعيم

ولكن كيف لم يَمُت؟ لقد سمعت عظامه تتهشم من شدة ارتطامها بالأرض

فقال لي دكتور أحمد الزيني بأن تلك الطلقة التي أطلقتها مروىٰ قد أصابت منطقة الصدر وأذابته علىٰ أثرها

تزداد دقات قلبي اضطرابًا ويعلوا علىٰ وجهي علامات عدم الفهم؛ فأردف بالحديث لقد أصابت طلقتها الهدف بالفعل ولكن ليس الهدف الصحيح فقد سارع أحد المُتحولون الجدد ووقف أمام عامر فتلقاها بدلًا عنه وهو من ذاب في الأحماض..

لا أعرف أأضحك أم أبكي أم أعتذر لمروىٰ أم أقتلها بالفعل!.. ولكني أجلت كل ذلك عندما تيقنت بأن دكتور خالد هو الآخر قد زاد حجمه ولكن أعداد المتحولون قد حُصرت أخيرًا وبالكاد تستطيع إحصائهم علىٰ أصابع يديك....

الآن وقت الجد إنها معركتنا النهائية أخيرًا.....

..مروىٰ..

هتفت زويا فينا الأمر لم ينتهِ بعد، لم يَمت عامر

وكأنني كُنت في ثُباتٍ دام لسنوات وأفقت علىٰ تلك الجملة

لم يمت عامر؟ كيف ذلك؟

أكاد أجزم بأنه أُصيب إصابة مُباشرة وارتطمت عظامه بالأرض.

حاولت جاهدة أن أرفع رأسي ولكن قواي قد خانتني

حاولت مرة أخرىٰ فتبينت نصفه السفلي

ارتفعت بنظري أكثر فإكثر حتىٰ رأيته

بالفعل هو، لم يُخدش حتىٰ

فسألت كيف ذلك! لكن زويا صاحت بأن أنهض

لن تحميني كثيرًا

فانحن في خضم المعركة، ومن يسقط يُقتل

إنها قوانين الحروب..

استجمعتُ شُتات نفسي وأمسكت بتلك القنبلة التي أعطتها لي زويا.

كانت مُختلفة عن ما سبقها من القنابل التي استخدمناها في القتال

Laser-guided bomb

وقالت.. إن هذه قنبلة

بالطبع مع حالتي النفسية التي أمر بها حاليًا لم أستوعب ما تقول فصاحت في بعنف إنها قنبلة موجهة بالليزر.

أنت من ستستخدميها علىٰ الزعيم

يجب أن تصوبي عليه بدقة ونحن نشغله..

ولكن حدث ما لم يكن في الحُسبان

فقد أعلنت أجهزة التنفس التي نرتديها انتهاء الأكسچين منها

أخبرتنا زويا بأننا يجب أن نهبط من جديد إلىٰ القاعدة

وأن معركتنا القادمة ستكون بنظام الكر والفر

وبالفعل نفذنا ما قالته زويا وانسحبنا من جديد إلىٰ القاعدة العسكرية

من حُسن حظنا بأن دكتور أحمد الزيني لم يَمُت فاهو الوحيد الذي يعرف شيفرة الدخول للقاعدة

فعلنا كالمرة السابقة مع احتساب خسارتنا الفادحة لأحد العلماء ولكن الدائرة وإن صَغُرت فإنها مُكتملة..

قفزنا في النفق وفتح الدكتور أحمد الباب ودخلنا مرة أخرىٰ، كأن الزمان يُعيد نفسه مرة أخرىٰ..

بدأنا بتغيير إسطوانات الأكسچين بتلك التي أحضرتها لنا زويا

ولكن الغريب بأن القائد لم يفعل مثلما فعل المرة الأولىٰ

لم تحدث غاراتٍ علينا هذه المرة

قالت زويا بأن أجهزة مراقبتها رصدت القائد وقد هبط علىٰ الأرض ويجلس بجانبه دكتور خالد وعامر

ويلتف حولهم الخمسة متحولين الذين لم يُقتلوا في المعركة وهذه الوضعية تُشبه وضعية وضع خطة الهجوم في الجيوش القديمة

إن استعاد القائد قوته ستكون كارثة

قالها مروان بعدما أمسك بسلاحه

معركة الكر والفر إذًا

فلنبدأها الآن....

..مروان..

بعدما انتهت إسطوانات الأكسچين منا أخبرتنا زويا بأن نهبط إلىٰ القاعدة العسكرية مرة أخرىٰ

أعتقد بأن ذلك أكثر الحلول عقلًا الآن نحن جميعًا مُرهقون والموت يُطاردنا ليُزهق أرواحنا

وتابعت حديثها بأن معركتنا القادمة هي معركة الكر والفر

هبطنا جميعًا إلىٰ القاعدة

وقمنا بتغيير إسطوانات الأكسچين الخاصة بنا

ولكن كانت هيئة زويا مُختلفة هذه المرة

لم تعد الإنسان الآلي لقد أصبحت تُشبه "الأخطبوط" فلقد ازدادت أذرعها لتغير لنا إسطواناتنا دفعة واحدة..

معركة الكر والفر إذًا

فلنبدأها الآن

خرجتُ من القاعدة بحذرٍ بالغ

وصعدتُ لأعلىٰ فوجدت الزعيم ومن معه يفترشون الأرض مثلما قالت زويا بالضبط .. ببطئ لكن بثبات..

صوبت سلاحي نحو من حوله وأطلقت رصاصي الممزوج بالأسيد فاقتلت اثنان من المُتحولون حوله

فصاح الزعيم وهب للقضاء علي:

إنها معركة الكر والفر يا عزيزي لن تنال مني هذه المرة

هبطتُ مرة أخرىٰ إلىٰ القاعدة وأغلقتُ بابها من خلفي،

استمر الزعيم ومن معه يزمجرون ويحاولون تحطيم باب القاعدة ولكن مُحاولاتهم باءت بالفشل

ثمانية وأربعون ساعة لم تتوقف فيها مُحاولات إقتحام القاعدة

الخوف يتملك قلوبنا تارة والهدوء والسكينة تارة أخرىٰ

يبدو بأنهم ضلوا الطرق ومحاولة تحطيم الباب أخيرًا..

إنها فرصتنا الآن

ولكن هذه المرة كانت الاستراتيچية مُختلفة

ليس بعد الموت شيء

إنها النهاية علىٰ كل حال

صعدنا جميعًا إلىٰ سطح الأرض وجعلنا مروىٰ في المؤخرة حتىٰ تسنح لها فرصة القضاء علىٰ القائد

ساعتان لم تتوقف فيها القذائف من كلا الطرفين

إلىٰ أن جائت الفرصة أخيرًا أطلقت مروىٰ قنبلتها الليزرية

فا أصابت القائد

تصاعد الدخان فلم نستطع معرفة حجم الضرر الذي تلقاه القائد

لحظاتٍ حتىٰ بدأ الدخان ينقشع حتىٰ تبينا ما حدث

لقد رصد القائد القنبلة فحاول أن يبتعد عنها ولكنها أصابت قدمه اليمنىٰ

فجآة صاح القائد وقال "إنه موتكم يا بلهاء إنه يومكم الأخير"

توقفنا جميعًا للحظات

هل استطاع القائد الكلام بالفعل؟

نضج جسده بالفعل ولكن لم أتخيل أنه يستطيع التحدث

فجآة وبحركة خاطفة فصل قدمه المُصابة عن جسده بضربة واحدة من يده

و عكس موضع جسده في الهواء فكانت رأسه لأسفل واستدار حول نفسه بشكل سريع

فكان يُشبه المِثقاب وهبط بسرعة جنونية إلىٰ باطن الأرض

فاتصاعد الغبار في أرجاء المكان

حتىٰ أننا لم نستطع تحديد إن كان قد صعد مرة أخرىٰ أم لا، حتىٰ زويا لم تستطع رصده بالأشعة فوق الحمراء

أمرتنا زويا بألا نتوقف عن إطلاق طلقاتنا

فاغمرنا السماء بالطلقات دفعة واحدة، دون أن نرىٰ أي شيء من حولنا

نسمع فقط أصوات زئير وعويل وخوار

دقائق لم تقف فيها قذائفنا عن الانطلاق

حتىٰ انقشع الغُبار أخيرًا.. لقد مات الثلاثة مُتحولون والدكتور خالد

وكذلك مات عالِمنا الأخير الذي لم يُرد قط أن نعرف حتىٰ ما اسمه....

... مروىٰ...

بعد مرور يومان داخل القاعدة العسكرية وأنا أعتصر رأسي لكي أتذكر أي شيء للقضاء علىٰ القائد

بائت مُحاولاتي جميعها بالفشل

صعدنا إلىٰ ساحة المعركة مرة أخرىٰ وبدأوا بإطلاق القذائف والرصاص

حتىٰ سنحت لي الفرصة فأطلقت علىٰ القائد ولكنه لم يمت بل أصابيت قدمه فابترها بيده، حمست نفسي بأن الغلبة لنا

لم أكمل كلمتي حتىٰ وجدتني ارتفع عن الأرض بفعل الزعيم لقد انقض علىٰ عنقي علىٰ حين غرة

يبدو أنها النهاية،، تتسارع ضربات قلبي وكأنه يَقرع طبول الحرب

تتباطأ أنفاسي وتخبُ حركتي رويدًا رويدا هاجمته زويا هذه المرة فاتركني والتف حول نفسه بشكل لولبي "حلزوني" سقط علىٰ الأرض فتحول المكان لعاصفة من الغبار فأطلقنا النيران بغزارة في ذلك الغبار المتصاعد مثلما أمرتنا زويا، وفي تلك اللحظة تذكرتعندما كنا في الطائرة واختنق القائد من حرارة المكان المُغلق حتىٰ أنه حطم الطائرة ليتجرع الهواء

أخبرتُ زويا بما توصلت إليه

فا أخبرتني بأن لديها خطة مُحكة للقضاء علىٰ القائد

ولكن نحتاج إلىٰ استدراجه إلىٰ القاعدة ذاتها

فا أمرت دكتور أحمد الزيني بأن يفتح بوابة القاعدة

وبالفعل قد نفذ الأمر

إنقشع الغبار من حولنا فوجدنا دكتور خالد قد سقط قتيلًا ومعه الثلاثة متحولون وسقط من صفنا ذلك العالِم الذي لم يُفصح عن اسمه إلىٰ هذه اللحظة وكأن اسمه سرًا حربيًا..

صاح القائد مرة أخرىٰ "لن تكن كفتكم هي الرابحة سوف تهلكون علىٰ يدي"

أثناء حديثه وجهت زويا حقنة مُخدرة علىٰ عامر فاسقط مغشيًا عليه

وقالت زويا يجب علينا الآن استدراج الزعيم إلىٰ داخل القاعدة

فقال دكتور إسلام بأن لديه خطة قد تبدو مجنونة ولكنها الأقرب للصواب وسينفذها بنفسه..

وفجأة بدأ يركدوهو يصرخ حتىٰ هبط إلىٰ القاعدة، لم يستطع القائد كبح نفسه للسيطرة علىٰ ذلك الظلام الذى شب داخل دكتور إسلام فقلت في قرارة نفسي بعدما فهمت ما يحدث الآن، بالفعل إنها خطة مجنونة ولكنها بالتأكيد عبقرية..

دخل القائد وانتقلت زويا إليه وامتدت ذراعيها وأحاطت بالقائد وصرخت فينا "لن أصمد كثيرًا"

Thermobaric weapon"

هذه قنبلة فراغية

استخدموها علينا أنا والقائد داخل القاعدة

فقلت.. ولكن ذلك يعني هلاكك أنت أيضًا

فقالت تأخذ القنبلة خمس ثوانٍ لتنفجر

سانتقل آنيًا وأعود إلىٰ قاعدتي

وتلك آخر قوتي ويجب أن أشحن دوائري هناك

ولكن من سيطلقها سوف يموت،قُلتها وأنا أصرخ في زويا

فقالت يُطلقها ويغلق الباب من فوره، سيكلفه ذلك ثلاث ثوان

سيكون انفجار قوي ولكن ذلك الباب سوف يمتص الصدمة مثلما حدث عندما أغاروا وعلينا..

وبالفعل نفذنا الخطة جميعًا

كان انفجارها قويًا فاهتزت الأرض من أسفل منا وبدأت أجزاء أرضية بالانهيار..

لقد انتهىٰ كل شيء الآن

يجب علينا العودة جميعًا إلىٰ موطننا يكفينا ما مررنا به إلىٰ الآن...

صعدتُ إلىٰ الطائرة التي جاء بها دكتور خالد بعدما أنهكني التعب، لم أنتظرهم حتىٰ..

ولكن عندما دلفت إلىٰ الطائرة كانت الصدمة، لقد كان هو، لا أعلم كيف ولكنه أمام عيني، صدمة لم أتحملها فاسقطتُ علىٰ رُكبتاي وعُدتُ بظهري للخلف....

.. مروان..

أخبرتنا زويا بخطتها المجنونة للقضاء علىٰ القائد وبدأت بالتنفيذ

وبالفعل فعلنا ما قالته ونفذنا خطتها بحذافيرها ونجحت الخطة بهلاك ذلك الصغير المُتحول

والآن موعد رحيلنا

فور حدوث ذلك الانفجار، إختفت مروىٰ من أمامنا وكأنها تبخرت، ولكني لمحتها تدخل إلىٰ الطائرة، عندها وجدنا عامر يتأوه من الألم وبدأت النيران تشتعل في جسده بالكامل

لم نستطع فعل شيء سوىٰ إلقاء الرمال عليه حتىٰ إنطفأ كليًا...

حملته علىٰ كتفي وصعد الجميع وصعدت أنا آخر شخص إلىٰ الطائرة

فور دخولي وجدت مروىٰ تزحف للخلف وهي علىٰ أرضية الطائرة فتفحصت المكان وكانت الصدمة إنه دكتور خالد

مُقيد بأحد مقاعد الطائرة وبكتفه الأيسر جرح غائر ولكن كيف؟

ومن ذلك الذي قُتل قبل قليل؟

ماذا يحدث هنا؟، أنزلتُ عامر عن كتفي ونظرت لدكتور خالد الذي فتح عينيه وتفحصنا هو الآخر

جاهد ليتكلم وكأنه يلفظ أنفاسه الأخيره وقال:

إنه فؤاد"مُعاوني في مركز البحوث"

لقد كان الناجي الوحيد قبل سنوات من ذلك الفيروس اللعين الذي قضىٰ علىٰ عشيرته..

بعدما قررت أن آتي إليكم وفور صعودي إلىٰ الطائرة

وجدته أمامي بهيئته المُتحولة

حاولت أن أوقفه ولكنه استطاع إصابتي فغيبت عن الوعي

استجمع قواه وقال:

ثم نزع معطفي وارتداه وقيدني بالمقعد، كنتُ أرىٰ تلك المشاهد مُشوشة ولا أستطيع منع حدوثها..

فجآة نهضت مروىٰ من مكانها بعدما فهمت ما حدث

وصرخت في دكتور خالد

وكيف نقضِ علىٰ زويا؟

لم أفهم ما تقوله

لم نقضِ عليها؟ لقد كانت خير معاون لنا!

فا إعادت سؤالها بقوة

أخبرني يا دكتور خالد أنت من صنعتها مع والدي كيف نقضِ عليها

كدتُ أفقد أعصابي ولكنني تمالكتها عندما أمسك دكتور خالد بيدي وقال:

أنت الإجابة الوحيدة علىٰ سؤالكِ يا ابنتي

بالطبع سافرت زويا بكِ إلىٰ حيث نركسوس وإلىٰ آيسلاند قديمًا

لم أفهم شيء كيف سافروا ولم نلتق بزويا إلا حديثًا؟

فقال: أخبرني والدكِ بأن هناك ألغاز لن يفهمها إلاكِ

البحر والقوة وأنت يا ابنتي

لا أفهم ما يعنيه ذلك بالتحديد ولكنه قال لي إنكِ ستفهمين، لقد تنبأ والدكِ بما يحدث الآن وبخيانة زويا

لذلك جعل لها مكانين ثابتين تسافر إليهما بالزمن في برمجتها الأصلية فلا تستطيع أن تحيد عنهما وجعل لكِ الخيار الثالث..

أنا الآخر لم أفهم أي شيء لم أفهم ما يقوله أبدًا

ولكن لِمَ نقض علىٰ زويا من الأساس؟

ما هذه المُعضلة التىٰ أنا فيها الآن؟...

..مروىٰ..

بعدما شرح دكتور خالد كيف نجىٰ ومن هو ذلك المسخ

سألته كيف نقضِ علىٰ زويا!

إنها الخطر الآثم الذي يهدد البشرية الآن

فقال أخبرني والدكِ بأن هناك ألغاز لن يفهمها إلاكِ

البحر والقوة وأنت يا ابنتي

لا أفهم ما يعنيه ذلك بالتحديد ولكنه قال لي إنكِ ستفهمين، لقد تنبأ والدكِ بما يحدث الآن وبخيانة زويا

لذلك جعل لها مكانين ثابتين تسافر إليهما بالزمن في برمجتها الأصلية فلا تستطيع أن تحيد عنهما وجعل لكِ الخيار الثالث..

أنا الأخرىٰ لم أفهم..أهذا وقت الأحاجي؟!

فسألته أتقصد أن حل لُغزي يكمن فيما رأيت؟

عندها بدأ دكتور خالد بالصراخ وهو يضع يده علىٰ الجرح الغائر في كتفه وصدره..

وقال إنها نهايتي يا ابنتي، يبدو أن كل من كان له علاقة بذلك الفيروس قد حُكم عليه بالفناء

لقد ضحىٰ والدكِ بكل شيء من أجلك، لقد أحبكِ بصدق، قالها وأغلق عينيه وتوقف تنفسه...

حاولتُ أن أحركه كي يستيقظ، أنه أملي الوحيد، فصاح في مروان "لقد مات" ألا تفهمين؟

ولكن، ولكني لم أفهم شيء، كيف الخلاص من هذه المصيبة يارب؟!

فجآة اقترب دكتور إسلام مني وقال:

أعتذر منكِ يا دكتورة مروىٰ ولكني سمعتُ حديثكم

قد أفيدكِ قليلًا فقد درست النوردية القديمة، ماذا رأيتِ في آيسلاند قديمًا؟

لوهلة شعرتُ بالضوء يتخلل ثنايا ضلوعي وكأنني كُنت في نفقٍ مُعتم وجاء دكتور إسلام بالضياء لينير ظُلمتي

قُلت له رأيت شاب يبني سورًا عظيمًا بسرعة جنونية قد تُقارب سرعة القائد وربما تزيد

ورأيت حِصانه يأكل من خشاش الأرض ومُهرة جميلة تأتي لإغواء ذلك الحِصان حتىٰ ترك سيده ورحل..

قال وما نهاية الأمر يا دكتورة، قد تأتِ الحلول أحيانًا من النهايات

حاولت التذكر كانت سرعة الأحداث الأخيرة مُرهقة جدًا لعقلي

بعد لحظات أجبته علىٰ سؤاله

لقد قُتل ذلك الشاب بعدما فضح أمره، لقد كان أحد العمالقة المشهورون بالحيل

قُتل علىٰ يد الإله ثور بمِطرقته العظيمة..

لمعت عيناه وقال: أقلتِ مطرقة ثور يا دكتورة؟

أعتقد أن الحل يكمن في تلك الأسطورة القديمة

لم أفهم أي شيء مما قاله ما تلك الأسطورة التي يتحدث عنها؟؟

فا إكمل كلماته،، تعد مطرقة ثور إحدىٰ التمائم القديمة التي استخدمها الكثيرون كاقلادة حول العُنُق للحماية من الشر..

توقف عن كلماته فاتذكرتُ تلك القلادة التي لطالما عَلقتُها حول عُنقي والتي كانت هدية من والدي

كان دائمًا يقول بأن نقائها يشبهنقاء قلبي والذي يشبه أيضًا أمواج البحر في جماله وزُرقته

أمواج البحر...توقف تفكيري عند تلك الجُملة

موج البحر..إنه حل اللغز الثاني

فا إخبرت دكتور إسلام عن المكان الآخر الذي سافرت بالزمن له

إنها رحلتي إلىٰ نركسوس، لقد كان مُغترًا بنفسه كثيرًا حتىٰ حُكم عليه بأن يبقىٰ عند البُحيرة

حتىٰ قُتن بنفسه ومات

لقد كان ماء البحيرة صافيًا فرأىٰ تجسيد صورته فيها

لقد مات لأنه أحب نفسه وفضلها عن غيره..

لقد فهمت اللغز الآن..

مِطرقة ثور وهي القلادة التي لطالما كانت حول عُنقي والتي تحتوي علىٰ ماء البحر الذي أخبرني والدي بأن نقائها كانقاء ماء البحر وأنا..

بعد تفكير عميق قُلتها،، حل ذلك اللغز يتلخص في ثقتي بنفسي ولكن لا أصل إلىٰ حد الغرور فإلغرور يُدمر صاحبه مثلما حل بنركسوس

نزعتُ القلادة من حول عُنقي لأول مرةٍ منذ ارتديتها

فلاحظت بأن ماء البحر فيها يأخذ الشكل الهرمي ورأسه أكثر زُرقة من غيره

ابتسمتُ علىٰ غبائي كل تلك السنين

وتحسستُ تلك المنطقة من القلادة فوجدته زر مَخفي

ضغطت علىٰ ذلك الزر فوجدت الكهرباء تلتف حولي وكأنني أحد أبراج تِسلا

صاح مروان.. ماذا يجري؟ ما تلك الكهرباء حولك؟

استطاع عقلي فهم ما يدور حولي ولكن لم يفهم أحد شيء

ولا أملك الوقت لكي أشرح ما فهمته..

فا ابتسمت ابتسامة هادئة لهذا وفجآة تغير المكان من حولي....

..مروان..

تلك الوضيعة تُخفي الكثير من الأسرار عنا، فيبدو بأنها لا تثق بأحد منا علىٰ الإطلاق، حتىٰ بعد كُل ما مررنا به إلىٰ الآن. ولكن لماذا تُريد القضاء علىٰ زويا، الأمر مُحير جدًا

كان دكتور خالد يقص عليها ما كانت تريد سماعه حتىٰ أصابه ألم لم يحتمله فصرخ وأمسك بجرح صدره وقال بأن جيله ممن تعرفوا علىٰ ذلك الفيروس قد هلكوا وآن أوانه الآن وأخبرها عن حب والدها لها وبدأ يُصارع الألم حتىٰ توفىٰ..

وجدتُ مروىٰ تُحركه بعُنفٍ كي يستفيق، فصرخت فيها بأنه بالفعل قد مات

لحظاتٍ من التخبط والشُتات الفكري حتىٰ اقترب دكتور إسلام وأخبرنا بأنه درس النوردية القديمة وقد يفيدنا وبالفعل بدأت مروىٰ تقص عليه ما رأت عند سفرها المزعوم ذاك

بالطبع لم أستوعب ما تقول عن تلك الرحلة فإنا لم أتركها لحظة واحدة فاكيف لها أن تُسافر بالزمن وكيف لها ان تعلم عن كل ذلك؟

وفجآة انتزعت مروىٰ تلك القلادة التي تُحيط برقبتها بعدما انتهىٰ دكتور إسلام من كلماته، وبعدما بدأت تُهمهم بكلماتٍ غير مسموعة، تحسستها ثم فجآة وجدتُ الكهرباء تلتفُ حولها صِحتُ فيها ما هذا؟ ماذا يحدث لكِ؟ ولكنها ابتسمت وإختفت من أمام ناظري مثلما كانت تفعل زويا.

لقد إختفت من أمام أعيني لا أعلم كيف! ولا أعلم ماذا أفعل الآن!. لقد تلاشت من أمامي فجآة كأنها لم تكن موجودة من الأساس

أخبرني دكتور أحمد الزيني بأن ننتظر بعض الوقت، والأفضل الآن أن نملأ إسطوانات الأكسچين كي لا تنفذ..

..مروىٰ..

أرىٰ الوجود يتلاشىٰ من حولي ويضيق صدري فلا أستطيع التنفس لحظاتٍ من الاختناق والخوف، ألعديد والعديد من الصور الهولوجرامية تمر علىٰ عيناي بسرعة فلا أستطيع تمييزها، انتهىٰ كل ذلك بوصولي إلىٰ قاعدة زويا

إنها الآن في وضعية الشحن الذاتي ترقد في ثُباتٍ عميق تتصل دوائرها الكهربية بتلك اللوحة العملاقة التي تأخذ نصف المكان تقريبًا، لوحة رئيسية مُتصلة بالعديد من الأجهزة

حاولت الإقتراب من اللوحة الالكترونية المُتحكمة كليًا بها وبالمكان فوجدت حارسًا آليًا يقف أمامها للحماية

ماذا أفعل الآن للتخلص من ذلك الآلي فإنا لا أمتلك أي سلاحٍ معي، مازالت قبضتي مُغلقة علىٰ القلادة فوجدتها تهتز في يدي ففتحت يدي

فوجدت قلادتي تومض مرة أخرىٰ ولكن هذه المرة قد حَلقت بمفردها في الهواء حتىٰ وصلت إلىٰ ذلك الحارس فأضائت المكان بقوة، شعرتُ بأنني سأفقد بصري من قوة ذلك الضوء، وفجآة بدأ الحارس بالذوبان في موضعه وكأنه أُصيب بحمض الأسيد

اقتربتُ بخطواتٍ سريعة إلىٰ تلك اللوحة العملاقة التي تُسيطر علىٰ كل شيء ولكني لم أفهم ما يجب علي فعله

بدأت القلادة بالهبوط من طيرانها واقتربت هي الأخرىٰ من اللوحة العملاقة وفجآة هبطت في مكانٍ خُصص لها

وهُناك صوت ذكوري يُخاطب رأسي أعرف ذلك الصوت جيدًا "إنه صوت أبي"

يُخبرني بأن أُحرك القلادة يمينًا وعنما اقتربتُ لأدير القلادة مثلما قال

وجدت زويا تصيح.. لا تفعليها إا إ، سنُسيطر علىٰ العالم معًا..

فاصِحتُ أنا الأخرىٰ لا أريد ذلك العالم الذي تسعين إليه

أريد ذلك العالم الذي أعيش فيه أنا وعامر سويًا

ذلك ما أريده يا أيتها الساقطة

وجهت خطابها مُهددةً إياي، لن تنجوا مني سأقتلكم جميعًا، عندها أدرتُ القلادة يمينًا فاشعرتُ باهتزاز الأرض من أسفل مني، وجدت المكان ينهار كليًا من حولي ووجدت زويا تذوب كما حدث للحارس الآلب

حاولت أن تنزع القابس الذي يصلها باللوحة ولكن سُرعتها لم تكن نِدًا أبدًا لسرعة الذوبان

المكان ينهار من حولي ولكن علىٰ ذلك المنوال سينهار المكان فوقي أنا الأخرىٰ

نزعتُ القِلادة سريعًا وضغطتُ ذلك الزر مرة أخرىٰ فاحدث كالمرة الأولىٰ كهرباء تِسلا تلتفُ حولي

أشعر بضيقٍ في التنفس، أرىٰ الصور الهولوجرامية مرة أخرىٰ ولكن هذه المرة استطعت تحديد بعضها، أنها صوري وأنا صغيرةٌ مع والدي، ووصلتُ مرة أخرىٰ إلىٰ الطائرة

لقد انتهىٰ كل شيء الآن ويجب أن نعود إلىٰ موطننا مرة أخرىٰ قُلتها مُخاطبةً الجميع بنوعٍ من الأوامر العسكرية...

"الفصل الثامن"

..مروان..

عادت مروىٰ وقالت أن كل شيء انتهىٰ ويجب علينا العودة إلىٰ الوطن

لا أعلم ا أصرخ فيها لتدميرها زويا؟ أم أُريحُ جَسدي الذي أُصيب بالعديد من الكدمات والخدوش ؟

لم أجادلها في شيء وأمرت دكتور إسلام بأن يُشغل وضع الطيار الآلىٰ ويضبط إحداثيات الهبوط في مطار القاهرة

تفقدتُ عامر الذي أُصيب بحروقٍ في جسده كاملًا طبعتُ قبلة علىٰ جبينه ومن ثم أسندتُ رأسي علىٰ المقعد وغفوت

بعد ما يقرب من النصف ساعة وصلنا أخيرًا إلىٰ القاهرة فوجدنا دكتور محمد خميس "دكتور الطب النفسي بمركز البحوث" في انتظارنا

قال بأنه يعلم بكل شيء حدث لهم وستنعقد لجنة خماسية بعد ساعة من الآن ليقُص علينا ما حدث في مؤتمر صحفي يُذاع علىٰ الهواء مباشرةً

ووجدنا سيارة إسعاف في انتظارنا لتحمل عامر إلىٰ المشفىٰ وسيارة أخرىٰ لنقل جُثمان الدكتور خالد ليبدأ في مراسم الدفن إعتذرت مروىٰ عن ذلك المؤتمر وقالت بأنها سوف تُرافق عامر إلىٰ المشفىٰ وصعدت هي الأخرىٰ إلىٰ سيارة الإسعاف

إلتحقتُ أنا بدكتور محمد خميس إلىٰ مكانٍ مُلحق بقاعة المؤتمرات لنرتاح فيها ريثما يبدأ المؤتمر

لم أجدال دكتور محمد في شيء ولم يُثقل هو الآخر علي بالأسئلة وذهبت معه إلىٰ ذلك المكان الذي وجدتُ فيه طبيب ومُمرضه قاموا بتضميد جراحي..

مرت تلك الساعة وكأنها لحظاتٍ قلائل ومن ثم انتقلنا إلىٰ مكان إنعقاد المؤتمر، والذي كانت وسائل الإعلام جميعها في انتظارنا فيه، وكأنه حدث عالمي..

بدأ المؤتمر العلمي عندما وصلنا والذي كان يترأسه دكتور محمد خميس نفسه

فقال بأننا نحتاج جميعًا إلىٰ رحلةٍ من العلاج النفسي تحت إشرافه الشخصي لنعود إلىٰ مُمارسة حياتنا الطبيعية من جديد..

وقدم إلي ذلك الوسام الشرفي لكل مجهوداتي علىٰ حد قوله

وقال بأن كل من معي سيُقلد بمثلهاكُنت استمع إليه بعدم اكتراث "فلينتهي ذلك الوقت اللعين بسرعة"

بدأ دكتور محمد خميس بتعريف باقي أفراد اللجنة

دكتور محمد البربير "الطبيب المُختص بعلم الجراثيم وعلم "الهستولوجي" والذي يدرس الأنسجة والخلايا" وسوف يكون مُشرفًا علىٰ فحصكم جميعًا للتأكد من عدم إصابتكم بذلك الفيروس اللعين أو بأيًا من الفيروسات الخاملة المُتواجدة في القطب الشمالي وآفات الحروب والتي ربما قد استوطنت منطقة حَوران.

دكتور "أحمد أبو شاهين" وهو مسئول الذكاء الاصطناعي والذي استطاع زرع آلات تنصت ومراقبة لزويا واستطاع رصد ذلك المخلوق الذي زودها

بخلاياه وأبلغ دكتور إبراهيم فأوقف عملها ومن خلال آلات التصنتأستطعنا رصد كل ما حدث لكم.

صمت قليلًا ثم قال بأن ذلك المخلوق هو فؤاد نفسه والذي يُعد الناج الوحيد من المنطقة التي تدمرت أثناء الحرب العالمية..

دكتور "محمود قنفد" وهو الخبير بعلم المفاعلات النووية والإنشطارات الذرية والذي سوف يدرس ذلك المفاعل الجرثومي الذي حاولت بعثة القطب الشمالي الاستقلال عن طريق استخدامه. ابتسمتُ ابتسامه خافته، يبدو بأنهم ينون استغلال قوة ذلك المُفاعل، لم يختلفوا عن البعثة الأولىٰ، أن الدمار هو المصلحة العليا لكل الأطراف، لا أحد يهتم برخاء الشعوب أو الإهتمام بمعالجتهم.

وأخيرًا دكتور "محمد جبه" ولكنه من سيُعرف نفسه الآن.

ترك دكتور محمد جبة مِقعده وصعد إلي وصافحني ثم تحدث:

Sonoildottormohamedgeba

Medico tissutale e cellulareall'Università del Cairo,

Sonoilnuovodirettore del istituto di ricerca al Cairo,

Italiano di origineegiziana.

أنا الدكتور محمد جبة

دكتور الأنسجة والخلايا بجامعة القاهرة

قالها وصمت قليلًا وبدأ يتأمل ملامح وجهي

لا أعلم أكان ذلك ليدرس حركاتي أم ليدرس ردة فعلي

أم ليتأكد من ثباتي الإنفعالي.

ثم أكمل حديثه في ثباتٍ بالغ

أنا الرئيس الجديد لمعهد البحوث بالقاهرة

صمت من جديد وفعل فعلته الأولىٰ وبدأ يترقب رد فعلي وأكمل

إيطالي من أصول مصرية

لوهلة صُعقت من ذلك الخبر.. من يستحقها بجدارة هو عامر لقد دفع ثمن تلك الرحلة غاليًا جدًا لقد تسرعوا في إختيارهم..

ولكني مع الانفعال الذي بدا علىٰ وجهي إلا أنني لم أتفوه بكلمةٍ واحدة، إنه الصمت الذي تعودتُ عليه من رحلتي تلك.

مروان....

يزدادُ اللهيبُ في صَدري تِجاه ذَلك اللفيف من العلماء ولكني تعودت الصمت من رحلتي تلك

فقال دكتور محمد خميس الآن ستقُص علينا ما حدث جُملة وتفصيلًا

حاولتُ التحدث ولكن خانني صوتي تنحنحت وبدأت كلماتي مُبعثرة وغير مُنمقة:

اليوم أقف أمامكم للإعلان بكل شفافية عن ما حَدث بالقطب الشمالي ومنطقة حَوران

لقد تكبد العالم العناء من أجل تلك المصالح الفردية

لقد تحول الأخضر يابسًا بفضل النزاعات والحروب

كم تدمر من العالم بسبب الأنانية المُفرطة؟

كم تكبد العالم ويلات الحروب بسبب البترول والطاقة؟

هذا ما حدث يا سادة

إنها الأنانية

إنه الشرُ الكامنُ داخل عقولكم وعقلي معكم

انها نجاسه البشر وعفن عقله

كان من الممكن أن يتطور العالم ويتطور الذكاء الاصطناعي مراتٍ ومرات لكنهم فضلوا هلاك الجنس البشري علىٰ رخائه

نعم يا سادة هذا ما حدث بالقطب الشمالي

تقارير العلماء أثبتت أن لذلك الفيروس قوة شفائية جبارة وقوة تدميريةأكبرمن قوة المُفاعلات العنقودية

ولكن النفس أمارة دائمًا بالسوء فقد فضلوا بناءمُفاعل جديد أسموه "مُفاعل جرثومي"

وحاولوا الفتك بالعالم به، ولكن إرادة الله حالت دون ذلكَ، وإنقلب السحر علىٰ الساحر

لقد تفاعلت الجرثومة مع المُفاعل ودمرت ما يَقرب من ثُلثي القطب الشمالي

ولكن ليس ذلك وحسب

فقد اندمجت الجرثومة مع العلماء مع الكثير من أنواع الحيوانات التي كانوا يدرسونها

وبالطبع مع ذلك الانفجار تحول الغلاف الجوي لمنطقة مُختلفة تمامًا عن ذي قبل

فالهواء أصبح أثقل بكثير والضغط أعلىٰ من المُعتاد لقد أصبحت القارة البيضاء بلد المهاليك بكل ما تحتوي الجملة من معاني، تحولت القارة المُتجمدة إلىٰ فوهة بُركان. كذلك كانت منطقة حَوران لقد تحولت إلىٰ بُركان ولكن بُركان من الدموع والآهات

ماذا استفاد العالم من جراء تلك النزاعات غير الدمار والهلاك، من المُستفيد؟ أجبني أنت أيها الرئيس الجديد

وأشرت إلىٰ دكتور محمد جبة، صحتُ فيه..من المُستفيد يا هذا؟، وما الحرب إلا هلاكُ للشعوب وهدية لأمثالك مُدعي الصلاح وانتم أفسد الخلق وأكثرهم تدميرًا..

ولكن عامر، عامر.

تلفظتها وكأنني دمرت آخر ما يُبقيني صلبًا فانفجر سيلًا عارمًا من الدموع

حاولتُ جاهدًا أن أتمالك نفسي ولكنني لم أستطع

فخررتُ ساجدًا علي ركبتي، ومازلت في حاله من البكاء والنحيب

وقلت:

عامر أقرب الناس لقلبي

كان دائمًا معي في كل أزماتي ومِحَني

كان دائمًا السند والحماية والعقل الرصين

كان التجسيد الحقيقي للصديق والأخ

لا أحد منكم يعلم ما يعنيه أن يكون عامر صديقه

لطالما آثرني علىٰ نفسه، لم تؤمن عائلتي بي يومًا، ولم أكن ذا نفعٍ لهم، كُنت شخصًا منبوذًا لطالما ابتعد عني الجميع إلىٰ أن جاء عامر،عندها فقط أصبحُ أنا..

ولكنه الآن مُجرد فأر تجارب عندكم وعند تلك الوضيعة مروىٰ

حاولتُ الوقوف ولكن قواي قد خارت تمامًا وسقطتُ مغشيًا علي..

استيقظت في المشفىٰ بعد ثلاث ليالٍ من الثُبات

تركتُ غرفتي وسألت عن غرفة عامر فإرشدوني إليها

دخلتها فوجدته يرقدُ في ثُباتٍ عميق ويضع العديد من "الشاش" وكأنه مومياء

وجدت مروىٰ تُخبرني بأنه قد دخل في "غيبوبة وقد تطول"

قُلت لها بأنهم قد عينوا دكتور محمد جبة كارئيس جديد لمركز البحوث فقالت بأنها علمت بالأمر

وقدمت استقالتها علىٰ الفور دون أن تُناقشهم في الأمر...

..مروىٰ..

سبعة أشهرٍ كاملة، هي المدة التىٰ قضاها عامر في غيابه عن الوعي مرت تلك الشهور علي وكأنها سنوات، لم أترك عامر فيها وكذلك مروان الذي مايزال يرمقني بنظراتٍ يملأها الغل والحنق، وفي اليوم الأول من الشهر الثامن وجدتُ جسد عامر ينتفض بقوة، حاولت إمساك جسده لعله يهدأ، ولكن خبت حركته فجآة وأجهزة قياس نبضات القلب تُشير إلىٰ توقف القلب عن العمل..

لحظاتٍ كادت تَقتلعُ فؤادي من موضعه

صرختُ بقوةٍ فوجدت الطبيب المُتابع لحالة عامر قد دخل الغرفة مُسرعًا وصرخ في بأن أخرج فأبيت ذلك وأخبرته بأنني طبيبة في مركز البحوث، لم يُحاول الطبيب مُناقشتي

وفي الحال قام بإجراء صدمات كهربية علىٰ القلب لتنشيطه مع حَقنْ القلب بمادة تُساعد علىٰ تحفيزه للعمل بشكلٍ مُنتظم..

أقوىٰ،، أقوىٰ

كان الطبيب يردد تلك الكلمات بانتظام وهو يصيح في المُمرضة التي كانت إلىٰ جواره من أجل تقوية شدة الصدمة الكهربية

حتىٰ عادت أجهزة القياس لتقرأ نبضات قلبه مرة أخرىٰ

قام الطبيب بزفر أنفاسه وكأن ثِقلًا قد زال عن صدره

لقد عاد من المجهول، لقد كان دافعه للحياة أقوىٰ بكثير مما تخيلت، سوف يُفيق بعد وقتٍ قصير ولكنه يحتاج لعناية شديدة

قالها الطبيب وهَمَ بالرحيل

جلستُ أتأمل وجهه الذي تتناثر الحروق فيه، أعض شفتاي ندمًا علىٰ ترشيحي له في تلك المُهمة

أُحرك يدي علىٰ وجهه من شدة اشتياقي

قبلتُ جبينه وهمس في أذنيه كي يفيق وداعبت أنفه بأنفي

نصف ساعة كان كفيلة ليفتح عينيه للمرة الأولىٰ

أمسك بيدي وبشق الأنفس جاهد حتىٰ استطاع أن ينطقها

وكأنها المرة الأولىٰ التي أسمعها فيها " أحبك"

قالها فاغمرت السعادة فؤادي، سعادة لم أشعر بها في يومٍ من الأيام ثم ذهب في ثُباتٍ عميق

...

وكأنها المرة الأولىٰ التي أسمعها فيها، لم أتذوق في حياتي أحلىٰ منها، وكأن الطيور تطرب فرحًا وسرور

لكنها بالتأكيد ستكون المرة الأخيرة.

لقد توقف قلبه عن أداء وظائفه الحيوية وبرد جسده، تحولت سعادتي إلىٰظلامٍ دامس وكأن الهواء يعصف بقلبي وكأن الهواء أصبح أثقل من أن تتحمله رئتاي

..

إنها النهاية التي لم أنتظرها يومًا..

ابتسمتُ ابتسامة هادئة والدمع يتساقط من عيني

وتتردد كلمات تلك الأغنية العتيقة في أذني

"والمطر الأسود في عيني يتساقط زخاتٍ زخات"

خرجتُ من الغرفة علىٰ غير هدىٰ

فوجدت مروان قادم من بعيدوهو يحمل الطعام بين يديه،

ا إقول له عن موت عامر أم أمهد له الطريق أولا؟، ولكن يجب أن يعلم، فا إبلغته عن ما جرىٰ

للوهلة الأولىٰ لم يعِ ما أقوله

فاكررتُ كلماتي عليه مرة أخرىٰ، فانفجر صارخًا في وجهي، أنت السبب في كل مشكلاتنا، أنت من قتلتيه

قتلتيه بحبكِ الزائف له، بخداعك له، بتلك الغطرسة التي لطالما إعتلت وجهكِ..

لقد ضحىٰ بكل شيء من أجلكِ، ماذا فعلتِ أنت مقابل ذلك؟

لا شيء، لا شيء سوىٰ القسوة والفتور..

كُنتِ تُريدين السبق العلمي، كنتِ تُريدين السُلطة والمجد، كنتِ تُريدين الحب... لقد حصلتِ علىٰ كُل شيء

انت السبب في كل ما وصلنا إليه الآن، لقد زججتي بنا إلىٰ الجحيم ولم تعبأي بأي شيء إلاكِ

لقد كُنتِ تملكين الكثير ولكن طمعكِ في المزيد والمزيد قد أعمىٰ بصيرتك، لقد كنتِ الشبح الذي سيطر علىٰ صديقي..

مَن كان يجب أن يموت هو أنت لا عامر..

كانت صدمتي أكبر من أن أتحملها فاتلقيتُ كلماته التي هبطت علىٰ قلبي كالسهام المسمومة دون أن أنطق بكلمة واحدة وكأن أحبالي الصوتية قد انقطعت وكأنني لم أعد أستطيع التحدث..

أعطيته ظهري والدمع ينساب علىٰ وجنتاي كالسيل الجارف ورحلت في هدوءٍ لم أعهده...

دون كلماتٍ أو حتىٰ صرخات فقط تلك الجملة تتردد داخل رأسي "والمطر الأسود في عيني يتساقط زخاتٍ زخات"

تـــمـــت

...إهداء...

لقد كتبتُ العديد من الإهداءات في وريقاتي الاولىٰ؛ ولكن لا أحد يلتفت إلىٰ الإهداء، ولكنكم تلتفتون حتمًا إلىٰ النهايات..

إذًا في هذه الورقة بالتحديد سأكتب إهداء روايتي وجميع أعمالي إلىٰ تلك الفتاة التي دفنت راحتها بين كفي إلىٰ تلك الفتاة التي آمنت بي وبكياني وشاركتني حُلمي..

إلىٰ زوجتي قطعة السكر التي تُزيحُ عني عثرات طريقي بطلتي وبطلة حكايتي مُلهمتي الوحيدة

وبالتأكيد لن أنسَ ابنتي "حبيبة" قطعة قلبي وحُلوتي وتيني

دُمتم لي.. دُمتم بخير..